الرسالة الخامسة

١ ـ إعلان الحجة على أعداء الطريقة التجانية .

٢ ـ التحذير من الأخذ بظاهر المشتبه فإن الصريح يعين المراد منه .

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدى الشيخ / محمد الحافظ التجانى المصرى

جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ هـ

" وسألته رضى الله عنه عن حقيقة التصوف ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : **اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى** ، انتهى من إملائه علينا رضى الله عنه "[1] .

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ الفصل الثالث

١ ـ السائل هو سيدى الحاج على حرازم براده للشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ،،،

فقد وضح كالشمس فى رابعة النهار أن خصوم الطريقة التجانية إنما يحاولون إلصاق العقائد الزائغة بها ، حسداً أو جهلاً ، وأن اتهاماتهم الظالمة لم تضر غيرهم ، وقد فضحهم الله ، وتبين أنهم يدلسون ويفهمون فى كلام أهل الطريق غير ما يقصدون ، ثم يذهبون فيردون على فهمهم الخاطئ المخالف للشريعة الذى لا يقول أحد من أهل الطريق به ولا يقر من قاله ، وتبين أنه لا يوجد من أهل الطريق أحد يقول : بأن صلاة الفاتح أفضل من القرآن ، ولا أن الشيخ أفضل من الصحابة والأنبياء ، ولا أن الذكر بالأسماء منسوخ ، ولا أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أمر بتبليغه ، ولا أن أهل الطريق يأمنون مكر الله ...إلخ الأكاذيب والاختلاقات التى افتراها الأفاكون على هذه الطريق السنية العلية ، وغالب أهل الطريق لم يسمعوا هذه العقائد الزائغة إلا من خصوم الطريقة الكاذبين ، ومن الواضح أن مذهب الشيوخ يرثه عنهم تلاميذهم ، ولو كان فى الطريق عقيدة ما تخالف الكتاب والسنة لظهرت فى أصحابها ، وأهل هذه الطريق مبرأون ولله الحمد من كل ما ليس عليه أهل السنة والجماعة فى الأصول والفروع .

ولقد سقط أولئك القوم من نظر العلماء المنصفين عندما اطلعوا على كذبهم ، وأنهم مدلسون نقلوا بعض الكلام من الكتب وتركوا باقيه الذى يوضح المراد منه ، وزادوا من عندهم ما لا يوجد فى تلك الكتب ، ومن الإمعان فى الكذب أنهم نسبوه إليها ، كما يقول الكذوب الخضر بن مايأبى الشنقيطى[٢] وتلميذه القطان الذى ورث عنه الإفك ، ونشر ذلك فى جريدة الفتح أن الشيخ ـ برأه الله ـ قال : إن هذا الورد ادخره لى صلى الله عليه وسلم ولم يعلمه لأحد من أصحابه ، وزعموا أنه فى **جواهر المعانى** ، ولا يوجد هذا الكذب لا فى **الجواهر** ولا فى غيره أصلاً ، بل هو محض بهتان افتروه لا وجود له فى كتب الطريق بتاتاً ـ نعوذ بالله من الخزى

---

٢ ـ محمد الخضر بن مايأبى الجكنى الشنقيطى ، من خصوم الطريق .

والفضحية ـ وعمدوا إلى الكلام الذى اتفق أهل الطريق على تأويله فزعموا أنه من الصريح الذى يأخذ أهل الطريق به على ظاهره ، وهم كاذبون .

وبعد أن قدمنا فى الرسالة الرابعة خلاصة الطريق وبيان أصولها وفروعها وما فيها من البشائر ومصدر ذلك من الكتاب والسنة ، فإننا ننشر اليوم رسالة أرسلها السيد / محمد الحافظ التجانى إلى حبيبه الأستاذ الشيخ / رضوان محمد مقدم السادة التجانية بسيناء ورئيس الزاوية التجانية بالعريش ، تحذيراً للعوام من الأخذ بالمشتبه مما فى كتب الطريق على ظاهره ، وبيان الصريح من كلام الشيخ الذى يرد إليه المجمل وغير الصريح .

وقد كان الاعتراض على هذه الطريقة المشرفة سبباً فى ظهور فضلها وفضل أهلها وانتشارها ، وتفقه أهلها واحتقارهم لأكاذيب الخصوم الحاسدين الذين لم يعادوا الطريق إلا بسبب خصومات شخصية معروفة وقعت بينهم وبين بعض الأفراد من أهلها ، فقاموا بسبب ذلك يعادون الطريق لا لشئ إلا لدافع حقدهم الحقير الذى يردى أهله والعياذ بالله ، فنصر الله الحق وأسكت باطلهم الممقوت .

والحمد لله حمداً يليق بكماله ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، آمين .

جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ هـ

مصر ـ الجماميز ٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

إلى سيدى الأستاذ الشيخ / رضوان محمد مقدم السادة التجانيين ببلاد سيناء

وإلى السادة المقدمين ، وسائر أحباب الطريقة رضوان الله تعالى عليهم ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعلى جميع أحبابكم وأصحابكم ، وبعد ،،،

فقد انتشرت دعايات سيئة حول الطريقة العلية التجانية تحمل تلك الدعايات أقدام الكذب الضعيفة وتسندها يد الحقد الخائرة ، وقد خشينا أن يفهم بعض أصحابنا أن تهم الخصوم الخاطئة هى رأينا ، فربما ذهب إليها من لا يحقق من العامة منهم ، ولن يضيرنا كذب الخصوم علينا ، فقد كُذب على الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الرسل ، فكيف بنا ، وأين أمثالنا من الرسل سادة الخلق !

ولقد أسئ فهم نصوص الطريق ، وحُملت على وجوه منكرة لا يصح أن يقول بها أحد من السادة التجانية ، وهم الحريصون على اتباع الكتاب والسنة العاضون عليها بنواجذهم ، وفى النصوص الصريحة فى الطريقة الشريفة ما يخزى المنكرين ، ولقد اجتمعنا بالجم الغفير من أولئك السادة ـ وحتى العوام ـ لم يدنس الله عقيدة أحد منهم بتلك الافتراءات ، وإنما يضيرنا أن يعتقد أحد ممن ينتمى إلينا تلك الأباطيل التى ألصقوها بأهل الطريق رضى الله عنهم .

لذلك كتبت هذا إليكم لتحذروا الأحباب من تلك الأمور ، وقد بين مشايخنا الذين صحبناهم ومشايخهم ، وهم من أعيان أقطاب الأمة المحمدية علماً وعملاً ، أن ما يوجد فى كتب الطريقة مما يوهم وجهاً يخالف الكتاب أو السنة أو ما أجمع عليه المسلمون يجب تأويله ، وأن ذلك الوجه غير مقصود للشيخ وأصحابه ، ويحرم المصير إليه ولابد من حمله على وجه صالح ، وأن ما ينسب للشيخ مما لا يمكن حمله على وجه صالح فهو كذب عليه .

وقد حققنا الأمر فى أمور نسبت إليه رضى الله عنه من هذا القبيل فثبت أنها كذب ، وتحدينا الخصوم فى إثباتها فأظهر الله خزيهم وتبين للملأ كذبهم ، وكان فى خذلانهم نصرة الحق وظهور فضل الطريق ، ولله الحمد .

" أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الأول ـ فى أجوبته عن الآيات القرآنية

- ١ -

وإننا نحذر كل من ينتمى إلى هذه الطائفة السنية من أن يعتقد أحد منهم أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات تبلغ مرتبة شئ من القرآن فى الفضل ، ومن كان يعتقد أنها تفضل أية آية من القرآن أو تساويها فهو ضال مضل والطريق براء منه ، وما روى عن الشيخ أن صلاة الفاتح ثوابها يعدل ثواب ستمائة ختمة من القرآن فقد بين علماء الطريق أن هذا لا يؤخذ على ظاهره ، وأن الشيخ قد بينه فى موضع آخر من كتاب **جواهر المعانى** ، وخلاصة الكلام فيه :

إن من يريد السلوك إلى الله عز وجل وكان لا يحسن أداء كتاب الله كما ينبغى أو يخل بأوامره فالأنفع له أن يجعل أكثر اشتغاله بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس معنى ذلك أن يترك القرآن فلا يتلوه بتاتاً ، كلا بل يداوم على تلاوة القرآن كذلك مع مجاهدة نفسه فى التأدب بآدابه والتسبيح والنوافل والذكر ، فإن إكثاره من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم توصله إلى التأدب الكامل بأدب القرآن ، فإذا وصل لتلك المرتبة جعل أكثر شغله بكتاب الله تعالى ، وليس معنى ذلك أن يترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وباقى النوافل فكل ذلك مطلوب ، وذكر حجة الإسلام الغزالى فى الذكر قال : " إن القرآن أفضل لعموم الخلق ، والذكر أفضل للذاهب إلى الله تعالى فى جميع أحواله فى بدايته ونهايته ، فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق ، فمادام العبد مفتقراً إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى ، فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى ، فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به فى رياض الجنة ، والذاهب إلى الله تعالى لا ينبغى أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هماً واحداً وذكره ذكراً واحداً ليدرك درجة الفناء والاستغراق ، ولذكر الله أكبر " انتهى .

أما القرآن من حيث هو فهو أفضل الكلام ، قال سيدنا رضى الله عنه فى **جواهر المعانى** الجزء الأول فى ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية ـ الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وبين تلاوة القرآن[٣] ـ : " **أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس ، كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله ، شهدت به الآثار الصحيحة** " .

ثم بين مراتب قراء القرآن وبين أن المقارنة إنما هى فى حال القارئين ، لا فى فضل القرآن فإنه لا ريب فيه ، وبعد ذلك بقليل فى نفس الفصل قال رضى الله عنه :

" **القرآن هو أفضل الذكر ، لكن السلوك به على شرط أن يقدر التالى نفسه فى نفسه أنه يشهد نفسه فى وقت التلاوة أن الرب سبحانه وتعالى هو الذى يتلوه عليه وهو يسمع ، فإن دام له هذا الحال واتصف به اتصل بالفناء التام وهو باب الوصول إلى الله تعالى ، والسلام** " انتهى من إملائه رضى الله عنه .

ثم ذكر حال من لم يحسن أدب القرآن وأن الأنفع له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مادام غير مؤدب مع كتاب الله ، وقد تقدم أن معنى ذلك ليس هو ترك القرآن فإن هذا لا نقول به ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**إن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شئ منه**)) رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى ، وروى عن أنس : " رب تال للقرآن والقرآن يلعنه " ، وقال صلى الله عليه وسلم :((**الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**)) رواه مسلم عن أبى مالك الحارث بن عاصم الأشعرى رضى الله عنه ، فلابد لقارئ القرآن من مراعاة أحكام قراءته والتأدب بآدابه ، فالشيخ رضى الله عنه إنما يتكلم عن أحوال قارئ القرآن لا أنه يفضل غير القرآن على القرآن ، وقد صرح بمراده رضى الله عنه ، فمن اعتقد أن شيئاً من الكلام يفضل القرآن فهو ضال مضل خارج عن الملة والعياذ بالله .

---

٣ ـ انظر معنى تلاوة القرآن لا نفس القرآن ، فليتق الله المسلم .

" قلت للشيخ رضى الله عنه : هل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أُمروا به كما طرأ بعد التبليغ ؟ قال : **لا ، ولو نسى شيئاً مما أمر بتبليغه للخلق لبعث الله إليه الملك وذكره به ليتم الدين الذى أراده سبحانه وتعالى لأنه هو الحافظ له حتى يكمل ما أراده من شرعه ، قال تعالى : (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[٤] لأنه كان صلى الله عليه وسلم يعجل بقراءة ما يسمعه خوفاً من النسيان** " انتهى .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الأول ـ فى أجوبته عن الآيات القرآنية

-٢-

وليحذر الأحباب من أن يعتقد أحد منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أمر بتبليغه ، ومن اعتقد ذلك فهو كافر خارج عن الملة المحمدية فكيف تصح له طريق ، والعقيدة الإسلامية الصحيحة هى أصل الدين والطريق ، وما الطرق إلا عمل بالكتاب والسنة بعد تصحيح العقيدة .

وما نسب للشيخ رضى الله عنه من أنه قال : إن هذا الورد ادخره لى صلى الله عليه وسلم ولم يعلمه لأحد من أصحابه ، ذكره الخضر بن مايأبى الشنقيطى[٥] فى كتابه الذى كذب فيه على الشيخ ودلس وحرف فى صحيفة نمرة ٩ ، و كذلك تلميذه القطان ونُشر فى جريدة الفتح وأشاعه من دعوا أنفسهم الهيئة الإدارية لنصرة الشريعة المحمدية ، وهم قوم من تلاميذ الخضر وهم من أحوج الناس إلى عقل وعلم وإنصاف ، وهل الشريعة تنصر بالكذب ؟ وهل ينصرها كاذبون ؟

وزعموا أن الشيخ قال ذلك فى **جواهر المعانى** وقد تبعوا زعيمهم الخضر فى ذلك ، وهو كذب لم يقله الشيخ رضى الله عنه ولا أحد من أصحابه ، وليس فى **جواهر المعانى** ولا غيره من كتب الطريقة مطلقاً .

---

٤ ـ سورة القيامة ، الآية ١٦ ، ١٧ .

٥ ـ محمد الخضر بن مايأبى الجكنى الشنقيطى ، من خصوم الطريق .

والورد هو الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة والكلمة المشرفة لا إله إلا الله ، وشرطه المحافظة على الصلوات الخمس ، وجميع الأمور الشرعية ، وعدم الأمن من مكر الله عز وجل كما هو مذكور فى **جواهر المعانى** وكتب الطريق .

فهل يعقل أحد فى الدنيا أن يكون هذا قد كتمه النبى صلى الله عليه وسلم ، اللهم إن القوم يحاربون أولياءك بالكذب ، اللهم فاشهد ، وكذلك ما زعموا من أن الشيخ رضى الله عنه قال : إن صلاة الفاتح قد كتمها صلى الله عليه وسلم عن أصحابه وعلمها للشيخ التجانى ، فهو كذب لم يقله الشيخ ولا أحد من أصحابه مطلقاً ، وصلاة الفاتح موجودة قبل الشيخ ومشهورة ، وقد ذكر العلماء والأولياء فى فضلها قبل الشيخ ما ذكروه ومنهم سيدى محمد البكرى الصديقى قال : " إن من ذكرها مرة ودخل النار فليقبض بلحيتى بين يدى الله يوم القيامة "[٦] ، فهذه الصلاة موجودة قبل الشيخ رضى الله عنه قطعاً .

فهل مثل هؤلاء أو من يغتر بأقوالهم ممن استغفلوهم واستغلوا عدم علمهم بالطريق يقام لرأيهم فى الطريق وزن ، أو يعبأ بأى حكم لهم على الطريق وأهلها ؟ إننا نحتقر تلك الأفكار التى تستند على الزور والتحريف ومن يشايعها .

أما ما روى عن الشيخ رضى الله عنه عندما سئل عن فضل صلاة الفاتح هل كان يعلمه صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : " **نعم كان عالماً به** " ، قالوا : ولمَ لمْ يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ؟ قال : " **لعلمه صلى الله عليه وسلم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه فى ذلك الوقت** " ، فهذا فى فضل صلاة الفاتح لا نفس صلاة الفاتح ولا فى الورد ، وقد دلسوا فى هذا الموضع وأشاعوا تدليسهم واغتر به كثير من ذوى الفهم القاصر .

ومن له معرفة بالعربية يعلم أن نفى ذكر الفضل للكل لا يمنع ذكره للبعض ، فإذا قلت : إن الأستاذ لم يفهم كل تلاميذه ، لا ينافى أنه أفهم بعضهم ، وهذا أمر يعرفه من له إلمام بطرف من اللغة ، ولذلك لما نقل رأس الدعاية فى الإنكار على الطريق الأستاذ ابن مايأبى الخضر الشنقيطى هذا الكلام حرف فيه فقال فى كتابه ص ٩ ما نصه : " وقال تلميذه ابن محمد الصغير

---

٦ ـ معناه : إذا قبلت منه وتوفى على الإيمان ، وقال تعالى : (**إنما يتقبل الله من المتقين**) ، وهذا من قبيل البشارة ولا يتكل عليه إذ العاقبة مجهولة .

التشيتى فى كتابه **الجيش** : إن أحداً من أصحابه قال له : هل النبى صلى الله عليه وسلم كان عالماً بفضل صلاة الفاتح ؟ فقال له : **كان عالماً به ولم يذكره** لأحد من **أصحابه لعلمه بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه فى ذلك الوقت** " .

فزاد ابن مايأبى الحامى لدين الله بزعمه الفاسد كلمة لأحد من ، وقد بحثنا عنها فى أصل الكتاب وفى سائر كتب الطريقة فلم نقف لها على أثر ولا حس ولا خبر ، ومعروف أن نفى ذكر الفضل للكل لا ينافى ذكره للبعض .

ولنترك تقدير هذه الزيادة والحكم عليها لمن له عقل أو إنصاف أو دين ، وإنها لخيانة فى العلم وكذب ونفاق ، والخيانة فى العلم أشد الخيانات ، وإنما زاد هذه الكلمة ليثبت أن الشيخ رضى الله تعالى عنه نفى ذكر هذا الفضل لسائر أفراد أصحابه ، وفرق بين أن تقول : هذا الرجل لم يقابل أحداً من أصحابه وبين أنه لم يقابل كل أصحابه ، إذ لا ينافى ذلك أنه قابل بعضهم .

أما كلام الشيخ فإنما يراد به التعليم للمجموع لا للأفراد ، فيمكن حمل كلامه رضى الله عنه على أنه صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذا الفضل لكل الصحابة وإنما ذكره لفرد منهم أو أكثر ، كحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى نهاه صلى الله عليه وسلم أن يذكره للناس فإن كلام الشيخ رضى الله عنه ينطبق عليه .

وقال الأستاذ ابن مايأبى الشنقيطى فى صحيفة ٩٣ من كتابه : " وقد نص العلماء على أن التبليغ يحصل بالتبليغ لبعض الناس واحداً فأكثر ، لأنه بإظهاره للبعض صار بحيث يتمكن كل أحد من الوصول إليه فلم يبق مكتوماً " .

وحديث معاذ متفق على صحته ، عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : ((**يا معاذ بن جبل ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثلاثاً ، قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ، قال : إذاً يتكلوا**)) ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً ، وروى أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : " أخبرنى من شهد معاذاً حين حضرته الوفاة يقول : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم

يمنعنى أن أحدثكموه إلا مخافة أن تتكلوا ، فذكره " ، وهذا الحديث لم ينتشر فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وإنما أخبر به معاذ عند موته تأثماً .

ويصح أن يقال فيه : إن النبى صلى الله عليه وسلم علم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه فى ذلك الوقت ، والذى يفهم من معنى الظهور الانتشار ، لأنه إذا علم به واحد أو اثنان أو ثلاثة مثلاً فليس بظاهر ، فالشيخ يريد بالظهور الذيوع والانتشار ، فلم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ظاهراً للناس فاشياً منتشراً بينهم ولا فى زمن معاذ ، وقد انتشر هذا الحديث فيما بعد وفاته وقد تأخرت وفاته رضى الله عنه ، وليس لأن الذين انتشر فى عصرهم كانوا أفضل ممن تقدمهم ولا أنهم أهل لما ليس المتقدمون له بأهل ، فهل يعقل أننا لا يخشى علينا أن نتكل على هذه البشرى ويتكل عليها أفضل الأمة الصدر الأول ؟ فكل هذا لا يلزم ولا نقول به ، ولا يوجد تجانى واحد يقول : بأن الشيخ أو غيره من الأولياء أفضل من أى فرد من الصحابة ، وذلك مصرح به عن الشيخ وأصحابه .

فذلك لم يذكره صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلهم ، وإنما ذكره لبعضهم كمعاذ رضى الله عنه ، وقد أراد الله تأخير ظهور هذا الحديث وانتشاره للوقت الذى سبقت الإرادة بانتشاره فيه ، فالأمر الذى فى الغيب يظهر كما هو ولله فى ذلك حكم يفعل ما يشاء كما يشاء ، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن مسلم بن الحارث : " **إن النبى صلى الله عليه وسلم أسر إليه فقال : إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرنى من النار سبع مرات قبل أن تكلم أحداً ، فإنك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جواز منها ، وإذا صليت الصبح فقل ذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جواز منها ، قال الحارث بن مسلم : أسرها صلى الله عليه وسلم ونحن نخص بها إخواننا** " ، وقد ذاع ذلك بعد الصدر الأول مع أن الصدر الأول أفضل القرون .

وقد قال رضى الله عنه : " **زنوا كلامى بميزان الشرع** " ، ولم يقل زنوا الشرع بكلامى ، فلابد من حمل كلامه رضى الله عنه على وجه لائق .

فكلامه رضى الله عنه إذا فهم على وجهه العربى لا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ ذلك الفضل لبعض أصحابه كما زعم المغرضون ، نعوذ بالله من الهوى .

الوجه الآخر أن يقال : هل يصح أن يكون هذا الفضل مما خُير صلى الله عليه وسلم فى تبليغه ؟ وقد ثبت أن هناك من الأمور ما هو مخير فى تبليغه صلى الله عليه وسلم ، وليس فضل صلاة الفاتح بأهم من الكتاب الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم لما اشتد به وجعه : ((**ائتونى بكتاب ، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده**)) والذى قال فيه ابن عباس : " إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه " ، وقال الشيخ الطيب بن كيران فى شرحه لتوحيد ابن عاشر : " ومن المخير فيه ما هم أن يكتبه صلى الله عليه وسلم لهم فى مرض موته ، فحال بينه وبين ذلك تنازعهم واختلافهم عنده فلم يكتبه كما فى الصحيح ، إذ لو كان ذلك مما يجب تبليغه ما تركه لأجل اختلافهم وقد عاش بعد ذلك أياماً ، ولو كان مما يمتنع إفشاؤه ما هم بكتبه لهم " انتهى .

ونقل رأس المنكرين ابن مايأبى ذلك القول ثم قال : " هذا الاستنباط منه رضى الله عنه واستدلاله فى غاية الحسن ولم اطلع عليه لأحد غيره " انتهى ، هذا الذى ذكره ابن مايأبى بالنص ، مع أن الحافظ ابن حجر ذكر ذلك فى الفتح فى كتاب العلم ، وذلك دليل جهله وقصور اطلاعه .

ولا ذلك الفضل أهم من تعيين ليلة القدر ، ولم يعينها صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وقد ثبت أن قوماً أطلعهم الله عليها من محض فضله ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم جعل تواطؤ رؤيا أصحابه فيها حجة كما رُوى فى الصحيح ، فهل يقال : إنهم تسوروا حاجز النبوة ؟ اللهم كلا ، وإنما هو النور الذى ورثوه عنه صلى الله عليه وسلم ، وليس فى ذلك من حرج .

ولا حرج على من ذهب إلى أن من الصالحين من يُعَرفُه الله إياها ، وقد ادعى ذلك كثير منهم وإن لم يبينها صلى الله عليه وسلم ، وليس هذا مما يجب تبليغه وإلا لعينها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه .

وما ورد فى الصحيح من رؤية البعض لها يدل على جواز أن يُعَرفَهَا الله لمن شاء بطريق من طرق التعريف الجائزة للأولياء ، ولا يكون من عَرِفها خيراً ممن لم يعرفها من الصحابة رضوان الله عليهم ، فإن فضل الصحبة لا يدرك ، وكل ما يصل إلى الأمة من الفضل هو حاصل

للصحابة رضوان الله عليهم من عرفه منهم ومن لم يعرفه ، وقد بين الشيخ رضى الله عنه فى **الجواهر** : " **إن للصحابة فضل من بعدهم لأنهم الذين بلغوا الدين** " انتهى .

وبما أن إجماعهم حجة فيعتبر كل منهم قد بلغ الدين ، قال صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله اختار أصحابى على العالمين ، سوى النبيين والمرسلين**)) .

وقد ذكر ذلك الرجل فى بعض نشراته التى صحبها الكذب والتدليس : " لو كان هذا الفضل يقرب من الله لبلغه صلى الله عليه وسلم " ، وقد علمت أن كلام الشيخ رضى الله عنه لا ينافى أنه بلغه صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه ، وعلى فرض أنه يقصد ما زعموا فإنه يقال لهم : هل الكتاب الذى لا تضل الأمة بعده وهمَّ صلى الله عليه وسلم بكتبه ولم يثبت أنه كتبه لا يقرب من الله ؟ أيها القوم بأى شئ تفهمون برؤوسكم أم بأرجلكم ؟ وبأى عقل تفكرون ؟ وإنا لا نفهم معنى يصحح للأستاذ وتلاميذه أن يعقلوا أنه يصح أن يكون ذلك الكتاب من المخير فيه صلى الله عليه وسلم ولا يكون منه شئ من الفضائل ـ لا يضر جهله فى الدين ولم يقل أحد من أهل الطريق بوجوب علمه ـ ولا يكون ذلك الفضل أشد خطورة من ذلك الكتاب ولا من تعيين ليلة القدر .

والتوجيه العلمى الصحيح لذلك على هذا النحو من العلم الذى خُير فى تبليغه صلى الله عليه وسلم ، أنه قد بلغ ذلك بتبليغ أصله وبينه ببيان ما يدل عليه وما يُستنبط منه فهو مندرج فيما أُمر به صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت فيما روى الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبى أن أم جميل امرأة أبى لهب ذهبت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فلما رآها قادمة قال : ((**إنى أخاف عليك يا رسول الله منها ، فقال : إنها لن ترانى ، وقرأ قرآناً فاعتصم به منها ، وهو قوله تعالى** : (**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**)[٧] **فأخفاه الله عنها وكانت تحادث أبا بكر ولم تره صلى الله عليه وسلم** ...الحديث)) ، فهل على من استنبط من هذا أن من قرأ من القرآن ما يشعر بمقصده منحه الله إياه ؟ ومثل ذلك كمثل من به ضر فقال : (**أنِّي**

---

٧ ـ سورة الإسراء ، الآية ٤٥ .

مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[8] وقال : إن من فضلها أن من قرأها كشف الله ضره ، وهب أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فى نوم أو يقظة بذلك ، وسواء ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم بلغ ذلك أو لم يثبت ، لأنه صلى الله عليه وسلم بلغ أصله فهو مندرج فيما أمر به صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم : ((**ما تركت شيئاً يقربكم من الله إلا أمرتكم به وبينته لكم**)) ، وفضل صلاة الفاتح مهما قيل فيه مما لم يأت الشرع بنفيه من التضعيف جائز أن يمنحه الله عز وجل لعبد أنعم عليه بالإيمان بمحض الفضل لا لعمل .

وقد بلغ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)[9] وبين أصل التضعيف فى الحديث الثابت عن جويرية رضى الله عنها أنه قال لها وقد خرج من عندها حين صلى الصبح وهى تسبح الله ثم رجع وهى جالسة بعد أن أضحى : ((**مازلت على الحالة التى فارقتك عليها ، قالت : نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن ، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته**)) أخرجه مسلم وغيره من حديثها ولغيرها بمعناه ، واجعل من ذلك آخر جملة من صلاة الفاتح : حق قدره ومقداره العظيم ، وهذا شامل للفضل الذى ذكره رضى الله عنه وأكثر منه مادام لم يرد فى الشريعة ما ينافيه ولا حرج على فضل الله عز وجل ، وقد رجح المحققون من العلماء رضوان الله عليهم أن من قال مثل ذلك فى الذكر أعطيه بمحض الفضل الإلهى ، ولا يلزم من ذلك أن العبد يستحق هذا الفضل وإنما هو لله لا للعبد ، والفضل الإلهى يتسع لذلك وأكثر منه بغير شك ، وقد أطنب الشوكانى فى تحفة الذاكرين فى إيضاح ذلك .

وكون بعض الصالحين يأخذ عنه صلى الله عليه وسلم أدعية وأذكاراً تنطبق على الشرع ولا تنافيه ويبين لهم فيها فضلاً خاصاً أمر مُسَلَّمٌ به عند محققى العلماء ، ومن ذلك ما ذكره أبو

---

٨ ـ سورة الأنبياء ، الآية ٨٣ .
٩ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

إسحاق الشاطبى فى أواخر الجزء الأول من الاعتصام عن الكتانى رحمه الله تعالى قال : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت: ادع الله ألا يميت قلبى ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت ، فهذا كلام حسن لا إشكال فى صحته ، وكون الذكر يحيى القلب صحيح شرعاً ، وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير وهو من ناحية البشارة ، وإنما يبقى الكلام فى التحديد بالأربعين وإذا لم يوجد على اللزوم استقام " انتهى من الاعتصام .

وقد سلم ذلك نفس الخصم فقال فى كتابه ص ٩٣ : " فإن الأولياء لم يأت أحد منهم بشئ مخالف للشريعة يوجب الردة أو غيرها من المخالفة ، وغاية ما يروى عنهم أن الواحد منهم يقول : إنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعلمه أذكاراً وأدعية نافعة فى الآخرة ، ولم يقل أحد منهم مثل ما قال هذا الرجل من كونه ادخرها له ولم يعلمها لأحد من أصحابه ، ولا يلزم من كونه علمها لهذا الولى أنه لم يعلمها لأحد من أصحابه فى حياته ولم تنقل عنه أو نقلت عنه ولم تنقل عن الناقل عنه إلى غير ذلك من الاحتمالات " انتهى كلامه بما فيه ، وها هو ذا قد سلم أن الصالحين يأخذون عنه صلى الله عليه وسلم أذكاراً وأدعية نافعة ، والشيخ رضى الله عنه لم يقل كما زعم ذلك الرجل المفترى : إن أوراده لم يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه ، فهل لم يعلم الصحابة الاستغفار أو الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو لا إله إلا الله ؟

وهذا الكذب لم يوجد فى كتاب من كتب الطريقة ، وإنما اخترعه هذا الرجل وأمثاله ، ولعله يعنى ما زعم زوراً وبهتاناً أن الشيخ قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كتم صلاة الفاتح ، مع أنها كانت موجودة قبل الشيخ من عصر العارف البكرى كما تقدم بل قبل ذلك ، فإن غالب ألفاظ صلاة الفاتح مذكور فى نهج البلاغة ومروى عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومن المسلم أنه لا يلزم أن يكون ما يطعن فى سنده بعض المحدثين موضوعاً على أنها كانت موجودة قبل البكرى على كل حال .

وجميع ما ينقل عن العارفين رضوان الله عليهم مما لا يخالف الشريعة مندرج فيما بلغه صلى الله عليه وسلم لأمته ، وإن خفى إرجاعه لأصله على بعض من أخطأه التحقيق .

وحسبك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لمن قال له : ((**أجعل صلاتى كلها لك ، قال : إذاً يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك**)) وحسبك أن يصلى الله عليه وملائكته وتبلغه صلى الله عليه وسلم ويرد على المصلى ، وقد ذكر العلماء فى فضائل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الكثير عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه .

وكم كشف الله للعارفين من فضائل السور والآيات والأذكار ، وكم نقلوا عنه صلى الله عليه وسلم من ذلك فى مشاهدهم الصادقة ، وفى كتب العلم والمناقب من ذلك الشئ الكثير ، وارجع للقول البديع للحافظ السخاوى ، والحصن الحصين لابن الجزرى ، وتحفة الذاكرين للشوكانى ، ونزل الأبرار ، والأذكار للنووى ، والحرز المنيع للسيوطى ، وجلاء الأفهام لابن القيم وما أفرده العلماء فيها بالتأليف تر عجباً .

ونرجو من فضله سبحانه وتعالى أن يصلى علينا ببركة حبنا لحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم حق قدره ومقداره العظيم ، وإن كنا لا نستحق شيئاً من ذلك من غير أمن لكن ظننا فى الله حسن ، وهذا أمر شامل جامع ، على أن هذا كله فى غير الفرائض ، وإنما هو من باب الفضائل والترغيب والأمر فيه واسع ، وقد بين الشيخ ذلك .

وقد أخطأ العلماء الذين صدقوا من زعم أن الشيخ قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم ادخر له الورد أو صلاة الفاتح ولم يعلمها لأحد من أصحابه ، أو أنه جعل المتأخرين أهلاً لما لم يتأهل له المتقدمون إلى آخر دعاويهم الكاذبة ، وكان عليهم أن يتثبتوا عملاً بقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**)[١٠] ، ونتحدى من يدافع عن أولئك المفترين أن ينقل هذا القول من **الجواهر** أو أى كتاب من كتب الطريق ، ولا نعرف خزياً أعظم من أن يظهر أنهم إنما يحاربون أولياء الله بالكذب ، تاب الله علينا وعليهم ، آمين .

---

١٠ ـ سورة الحجرات ، الآية ٦ .

فقول بعضهم إنكار هذا بعد ثبوته فى كتب الطريق لا يفيد ، فأين هـو فـى كتـب الطريـق ؟ وقوله أو تأويله بما لا يفهم منه لا يفيد ، وهل هو موجود حتى نؤوله ؟ أما ما يوجد حقيقة فـى كتب الطريق فقد بين الشيخ نفسه مراده منه وكذلك أصحابه .

على أن الأستاذ لو كان لديه شئ من الإنـصاف ولـو قلـيلاً ـ هـدانا الله وإيـاه ـ لأول كـلام الشيخ رضى الله عنه ، فإن كلامه الصريح ناطق بأنه لا يقصد أى وجـه يخـالف الـشريعة ، ولا توجد هذه العقائد الفاسدة فى تلاميذه وهذه أكبر قرينة ، وقد رأينـا أتبـاع ذوى الآراء المنحرفـة يتعصبون لرأى متبوعيهم ويؤولون الشريعة لها ، لا أنهم يجعلون الـشريعة أصـلاً ويتـبرأون ممـا يخالفها ويؤولون كلام متبوعيهم لها ، ونحن قد تلقينا عن أشياخنا أن ما يخالف الشريعة فهو غير مقصودهم ومن عمل به فهم منه براء .

وهذا الرجل المنكر ماهر بتأويل ما ينسب لشيخه رضى الله عنه والاعتذار عن الـصالحين إلا الشيخ التجانى رضى الله عنه ، وليس هو بالمحتاج لتزكية ، ولا يضره معاداة مثل سى ابن مايأبى ولا أتباعه ، لأن فى أتباع أتباع سيدى أحمد التجانى من لا يبلغ هو فـضلاً عـن تلاميـذه مرتبـة تلاميذهم لا فى أصول ولا فروع ولا فى معقول ولا منقول .

وفى أى شرع أو إنصاف أو دين أن يفهم شخص فى كلام القوم فهمـاً لا يقولـون بـه ، ولا يشاركونه فيه ، ثم يريد أن يلزمهم به ؟

والخلاصة أن القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم أُمر بتبليغ شئ فيكتمه ، فالشيخ والطريق وأهله بريئون من القول به وممن يقول به لأنه كافر بالله ولا يقبل منه صرف ولا عـدل ، وكـلام الشيخ فى صلاة الفاتح إما أن يكون معناه أن النبى صـلى الله عليـه وسـلم بلغـه للـبعض مـن الصحابة لا للكل ، أو هو مما لم يؤمر بتبليغه صلى الله عليه وسلم ، وليس فضل هذه الصيغة أو غيرها مما نقل عن العارفين مما يشبه ذلك بضرورى فى الدين ، ولا هو مما لا يكمل الدين إلا به ولا مما يجب العلم به ، وفيما بلغه صلى الله عليه وسلم كفاية وهو مندرج فيه بغير شك .

" الشيخ يصحب لا لغرض ، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ، ويتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد فى حضرة الله " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الأول ـ صفة المريد وحاله

وليحذر الأحباب من اعتقاد أن رؤية أحد مجردة عن العمل الصالح تدخل أحداً ما الجنة بحساب أو بغير حساب ، فمن اعتقد ذلك فهو مخطئ وما روى عن الصالحين فى ذلك فليس على اطلاقه بل هو مقيد بقيود :

ـ أولها الإيمان : فمن لم يقض الله له بالوفاة على الإيمان فليس بمقصود فى كلامهم ، وقد قيد الشيخ كلامه بقوله : " **إن مات على الإيمان** " وقد حذف المنكرون هذا القيد من كلامه ، عافانا الله وإياهم من المقت .

ـ ثانيها محبة الصالحين الصادقة : ولن تكون المحبة صادقة إلا إذا أثمرت ، وثمرتها التوبة الصادقة ، فمن لقى ولياً بل نبياً مبغضاً له فلا نصيب له فى الانتفاع برؤيته ، ولكنه إذا أحبه فقد نص الشارع على أن محبة الصالحين الصحيحة تفضى إلى الخير والصلاح .

ـ ثالثها عدم الأمن من مكر الله عز وجل .

وكل هذا مذكور فى كتب الطريق ، واتفق عليه أهل التحقيق من السادة الصوفية رضوان الله تعالى عنهم ، وقد قال تلميذ أبى اليزيد لمن اعترض على قوله : من رآنى دخل الجنة ، بأن أبا جهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدخل الجنة ، فقال له : إنه ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم وإنما رأى يتيم أبى طالب ، وقصده بذلك أنه رآه محقراً لشأنه غير محب له ، وقد بين ذلك فى كتب الطريق ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**لا تمس النار مسلماً رآنى أو رأى من رآنى**)) رواه الترمذى والضياء وسنده صحيح ، وقد كان السلف يحملونه على ظاهره ويرجون ذلك الفضل .

قال طلحة : " فقد رأيت جابراً ، وقال موسى : قد رأيت طلحة ، قال يحيى : وقال لى موسى : وقد رأيتنى ونحن نرجو الله " انتهى ، ونحن معشر التجانيين نرجو الله ، وصح عنه

صلى الله عليه وسلم : ((**من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى**)) ، فمن تحقق برؤيته صلى الله عليه وسلم حقاً فله ذلك الفضل ، وسواء فى ذلك من قال برؤية اليقظة ومن لم يقل .

والمراد من رآهم صادقاً فى محبتهم ، وحديث ((**أنت مع من أحببت**)) ثابت رواه البخارى فى صحيحه من طريق أنس عن مالك عنه صلى الله عليه وسلم : ((**وإن لم يعمل بمثل عمله**)) ، وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : ((**يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم ، قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت ، فقال : إنى لأحب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت ، قال : فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم**)) رواه أبو داود .

وهذا مجرد المحبة ، فكيف بالمحبة والاجتماع ! فلا شك أنها إذا صدقت ينتج عنها العمل الصالح ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله**)) رواه الحكيم الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياء الله ؟ فذكره ، ورواه عنه البزار ورجاله ثقات ، ورواه صاحب الحلية عن سعد بن أبى وقاص ، ورواه ابن جرير عن سعيد مرسلاً .

فرؤيتهم من أكبر النعم الإلهية لما أودع الله فيهم وحلاهم بالأسرار الربانية والأنوار القدسية ، وليس المراد مجرد الرؤية بلا شرط كما ظن من أخطأ فى الفهم ، وإذاً فكلام العارفين معناه الشكر على أن الله أنعم عليهم بأنهم ممن ينتفع برؤيتهم ومحبتهم فى الله ، قال تعالى فى الحديث القدسى : ((**وجبت محبتى للمتحابين فى**)) ، فهم يقولون ذلك تحدثاً بنعم الله عليهم لا فخراً ولا كبراً ، قال تعالى : (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**)[11] .

وإذاً فالمراد أن المحبة الصادقة الخالصة لله عز وجل تجر من اجتمع بالصالحين للتوبة الصادقة والعمل الصالح على نهجهم على قدر الطاقة ، وهو أمر صرحت به الشريعة المطهرة ، فاعتراضه تقدم بين يدى الله ورسوله ، والله ولى التوفيق

---

١١ ـ سورة الضحى ، الآية ١١ .

" معنى أن كل ولى قدمه على قدم نبى أى يذوق ذوق ذلك النبى ويتوجه توجه ذلك النبى من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبى ، بل يحصل له قسط ونصيب مما كان عليه ذلك النبى " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ منتصف الفصل الثالث

" فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم " .

" عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطاة " .

وقال بعد ذكر ما ذكر من الفضل للمُصلى عليه صلى الله عليه وسلم :

" وهذا بالنظر لغير أهل المراتب ، وأما هم فيتضاعف لهم العمل بحسب مراتبهم ، فليست مرتبة الرسالة كمرتبة النبوة ولا الصديقية كالنبوة ولا يشملهم القياس " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الأول ـ فى فضل ورده

وليحذر الأحباب من أن يعتقدوا أن الشيخ رضى الله عنه أو غيره من الأولياء يبلغ فى الفضل مرتبة من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما روى عنه رضى الله عنه : **" قدمَّىَّ على عنق كل ولى لله "** ، فقد بينا فى التعليق على **الإفادة الأحمدية** أن معنى القدم الطريق والمنزلة ، وقد قال تعالى : (**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**)[١٢] ، ومن ذلك قولهم كل ولى قدمه على قدم نبى أى طريقته وسيره ومعنى على كل عنق كل ولى أى هى مسلمة كما تقول : هذا الأمر على العين والرأس .

وما يوهم تفضيله رضى الله عنه على الصحابة والأنبياء مما فى كتب الطريق فقد بين علماؤها أن ذلك مؤول وقد صرح رضى الله عنه بخلافه ، ومما ذكر سيدى العربى بن السائح وسيدى عمر بن سعيد الفوتى وغيرهم أن العرف قد خصص معنى الولى بغير الصحابة والأنبياء وإن كانوا هم سادة الأولياء ، فمن قال : رأيت كلاماً لبعض الأولياء ، إنما يتبادر منه أن الأولياء غير الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد عد العرف من المخصصات ، وقد بين الشيخ

---

١٢ ـ سورة يونس ، الآية ٢ .

رضى الله عنه فى **جواهر المعانى** فى فضل ورده بالجزء الأول أن فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم أيا كان لمرتبة الصحبة ، وقال : " **عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطاة** " ، وصدق رضى الله عنه فيما مثل به لأنهم رضى الله عنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، قال فى حقهم صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله اصطفى أصحابى على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين**)) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**)) رواه البخارى .

وفى الجزء الثانى قبيل الفصل الرابع :

وسئل رضى الله عنه عن تفضيل الصحابى الذى لم يُفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة ؟ فأجاب رضى الله عنه : " **اختلف الناس فى تفضيل الصحابى الذى لم يُفتح عليه والقطب من غير الصحابة ، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابى وذهبت طائفة إلى تفضيل القطب ، والراجح تفضيل الصحابى على القطب بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله اصطفى أصحابى على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين)) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : ((خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...الحديث)) ، وبقوله سبحانه وتعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...الآية)**[١٣] ، **وهذا من شدة اعتناء الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وخصوصية له** " انتهى .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين**)) رواه البزار بسند جيد .

فمن فضَّلَ الشيخ أو غيره من الأولياء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على غير الهدى ، والطريق فى ناحية وهو فى ناحية .

ونحو هذه الكلمة " قدمى على عنق كل ولى " مروى عن جمع من العارفين قبل الشيخ أولهم سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى والشيخ محمد أبيض الوجه البكرى ،

---

١٣ ـ سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

وقد عرفت أن القدم هى طريقة سيره الموافق للشريعة ومرتبته التى أنعم الله بها عليه ، وأن معنى على عنق الأولياء أنها مسلمة لديهم محترمة كما تقول فى أمر : على العين والرأس .

وماذا علينا إذا حسنا الظن فى كلام هؤلاء السادة وحملناه على أحسن الوجوه ، والله إن حسن الظن لا نعاقب عليه وهم خليقون به ، وإنما أساء الظن بهم من جهلهم أو اتبع هواه فأرداه .

ومن اعتقد مساواة الشيخ به صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء فهو كافر ، أو بالصحابة فهو مبتدع ، وقد صرح الشيخ بمذهبه فلا حجة بعد ذلك لأحد ، أما فضل الأنبياء فقد ذكر رضى الله عنه فيه فى **الجواهر** صحيفة ٦٣ بعد بضع ورقات من الفصل الثالث من الجزء الثانى أن الشيخ رضى الله عنه سُئل عن مسائل ، ومنها قول سيدى أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : " خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله " فأجاب رضى الله عنه : " **اعلم أن الأصل الأصيل الذى لا محيد عنه ولابد لكل مؤمن من اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها ، وأن ذلك التجلى ليس هو فى كل شخص كما عند الآخر ولا على قانون واحد ولا على كيفية مطردة ، بل البصائر فيه متفاوتة وأسرار الخلق فى ذلك متباينة من كثير وقليل ، فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلى الجمال القدسى الذى لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن الذى فى مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لا مطمع فى دركه لأحد من أكابر أولى العزم من الرسل فضلاً عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وأن الذى فى مرتبة الرسالة لا مطمع فى دركه لأحد من عموم النبيين ، والذى فى مرتبة النبوة لا مطمع فى دركه لأحد من عموم الأقطاب ، وأن الذى فى مرتبة القطبانية لا مطمع فى دركه لأحد من عموم الصديقين ، وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل فاعلم أن الشطحات التى صدرت من أكابر العارفين مما يوهم أو يقتضى أن لهم شفوفاً وعلواً على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول أبى يزيد البسطامى : خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله ،**

ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلى : معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه ، ومثل قول ابن الفارض رضى الله عنه :

ودونك بحراً خضته وقف الألى بساحله صوناً لموضع حرمتى

وكقوله :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

إلى أن قال فيه :

وفى المهد حزبى الأنبياء وفى عنا صر لوحى المحفوظ والفتح سورتى

وكقوله أيضاً :

فحى على جمعى القديم الذى به وجدت كهول الحى أطفال صبوتى

ومن فضل ما أسأرت شرب معاصرى ومن كان قبلى فالفضائل فضلتى

وكقوله فى الكافية :

كل من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماكا

وكقول بعض العارفين : نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء .

والجواب عن هذه الشطحات : أن للعارف وقتاً يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ويخرج عن جميع مداركه ووجوده ، لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدوس اللاهوت من بعض أسراره فيض يقتضى منه أنه يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها ويصرح فى هذا الميدان بقوله : سبحانى لا إله إلا أنا وحدى ...إلخ من التسبيحات كقوله : جلت عظمتى وتقدس كبريائى ، وهو فى ذلك معذور لأن العقل الذى يميز به الشواهد والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسى عليه تكلم بما تكلم به .

إلى أن قال رضى الله عنه :

وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم لغيبته عن ذاته فى ذات النبى عليه الصلاة والسلام ، فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره ، فإذا كسيت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم ، فيتكلم بلسان النبى صلى الله عليه وسلم نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات العظام مما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم مخبراً عن نفسه فمن يسمعه يظن أنه ينسبه لنفسه وإنما نسبه للنبى صلى الله عليه وسلم لغيبته فى ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق رجع لحسه وشاهده ، وتبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق من كل ما تسمع من الشيوخ مما يقتضى أن لهم شفوفاً على مراتب النبيين والمرسلين " انتهى .

هذا حكمه على كل ما يدل على علو على مراتب النبيين ، فإذا وجدنا فى كلامه شيئاً من ذلك فهو من هذا القبيل .

وأما ما روى عنه رضى الله عنه : " **روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا** " وأشار بأصبعيه ، فإنما يريد أن روحه كانت متشرفة بمعيته صلى الله عليه وسلم فى عالم الأرواح ، وسبق وجود الأرواح على الأجساد ، وكونها متقدمة عليها نقل الإجماع عليه أبو إسحاق المروزى وهو الذى عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة ، وهو المعروف فى القرون الثلاثة الأولى التى هى خير القرون ، وهو الذى عليه المحققون من الفقهاء والصوفية ، وهو الظاهر من الكتاب والسنة والثابت عن بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهى معية المتبوع لتابعه ، ولا يصح بحال أن يريد بها المساواة فكلامه الصريح رضى الله عنه يرد ذلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا**)) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ، أخرجه البخارى والترمذى وأبو داود ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**أنا وامرأة سفعاء الخد كهاتين يوم القيامة**)) أخرجه أبو داود .

وانتفاع الأرواح ببعضها واستمدادها العلم فى عالم الأمر جائز عقلاً وشرعاً ، وإن اختلف وقت ظهور أجسادها ، ومن انتفاع الأرواح ببعضها ما بين فى السنة فى قوله تعالى : (**اللَّهُ**

يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا...الآية)[١٤] ، قال حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما : " تلتقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات فى المنام ، فيتساءلون فيما بينهم ما شاء الله تعالى ، ثم يمسك الله أرواح الأموات ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى أجل مسمى لا يغلط بشئ من ذلك فذلك قوله : (**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[١٥] " أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والضياء فى المختارة ، فقد ثبتت محادثتهم وهم فى عالمين مختلفين .

وقد روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين بسند صحيح على شرط مسلم : " إن ثابت ابن قيس بن شماس لما استشهد يوم اليمامة رآه رجل من المسلمين فى منامه ، فقال : إنى لما قُتلت انتزع درعى رجل من المسلمين وخبأه فى أقصى العسكر وهو عنده وقد أكب على الدرع برمة وجعل على البرمة رحلاً ، فأت الأمير فأخبره وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضيعه ، وإذا أتيت المدينة فأت فقل لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن علىَّ من الدين كذا وكذا وغلامى فلان من رقيقى عتيق ، وإياك أن تقول : هذا حلم ، فتضيعه .

قال : فأتاه فأخبره الخبر فوجد الأمر على ما أخبره ، وأتى أبا بكر فأخبره فأنفذ وصيته ، فلا نعلم أحداً بعدما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس " .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدارى وكان خازن عمر قال : " أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل فى المنام فقيل له : ائت عمر ... الحديث " ونقله الحافظ ابن حجر فى الفتح ، ورواه البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه فى منامه فقال له : " ائت عمر فاقرأه السلام وأخبره أنكم مسقون وقل له : عليك الكيس الكيس " ، وهذا كله ثابت وقد أقره عمر وأقرته خير أمة أُخرجت للناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره منهم أحد .

---

١٤ ـ سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
١٥ ـ سورة الرعد ، الآية ٣ .

ومنه ما روى عنه رضى الله عنه : " **يوضع لى منبر من نور يوم القيامة ، وينادى مناد حتى يسمعه كل من بالموقف : يا أهل الموقف هذا إماكم** " ، فقد ذكر فى بيان معناه فى التعليق على **الإفادة** أننا إن أبقينا الكلام على عمومه يكون إذ ذاك فانياً فى الحضرة المحمدية يتكلم بلسانها ، ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق قاطبة وإمامهم من غير نزاع ، وإلا فيراد من انتفعوا به فى عالم الحس وعالم المعنى ، وقد قال الله تعالى : (**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**)[١٦] ، والعموم هنا غير مراد له قطعاً إذ يستحيل أن يقصد أن عموم الصحابة منه استمدادهم ، وقد صرح فى **الجواهر** أنه يستمد منهم هو وغيره ، ولولاهم ما عرفنا الله ولا الدين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إن لله عباداً يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور يغشى وجوههم النور حتى يفرغ من حساب الخلائق**)) رواه الطبرانى بإسناد جيد ، وورد فى المتحابين فى الله عنه صلى الله عليه وسلم : ((**قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**)) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وصح مثل ذلك عن كثير من الصحابة عند أحمد وابن حبان وأبى يعلى والحاكم والطبرانى ـ جعلنا الله منهم إن شاء الله تعالى ـ فنقل المنكرون الكلمة وتركوا بيانها ، فهل هذا من الدين ؟

وقد عد فى التعليق على **الإفادة** من شطحات العارفين ما روى عنه رضى الله عنه : " **حتى واحد ما يعرف معنى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا من الأنبياء ولا من غيرهم ، إلا هو صلى الله عليه وسلم وعلمه لى وحدى** " ، وقد نقل المنكرون هذه الكلمة من **الإفادة** ص ٨٢ زاعمين أن الشيخ رضى الله عنه ادعى أنه أعلم من النبيين مع أنه قد بين فى نفس الصحيفة فى التعليق أن ذلك من قبيل ما تقدم من شطح العارفين وأنه إذ ذاك كان فانياً فى الحضرة المحمدية ، وتركوا البيان له ، فهل هذا يشرفهم أو يجعل لنقلهم قيمة ؟ أوليست هذه الخيانة فى العلم ؟ ولماذا لم يعتذروا للشيخ بما اعتذروا به لمشايخهم فى مثل هذا الموضع بعينه ؟ نعوذ بالله من عدم الإنصاف .

---

١٦ ـ سورة الإسراء ، الآية ٧١ .

ومن أكبر آيات الخزى والمقت والعياذ بالله أن المدعو بالقطان ـ الذى يأتمنه مثل الأستاذ محب الدين صاحب الفتح ويغتر بكلامه ويظن فيه الصدق وإلا لما نشر له الزور الذى اجترمه ـ يزعم أن الشيخ رضى الله عنه قال : إن الولى قد يزيد على النبى فى العلم بالإلهيات ، ونشره فى نشرات خاطئة مخطئة وفى الفتح عزاه **للجواهر** الجزء الأول ص ٢٣٢ فى أجوبته عن الآيات القرآنية ، وقد فعل كمن يقول : (**إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**) ويترك ما قبلها ، والله تعالى يقول :(**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**)[١٧] ، وسنفضح تلك المؤامرة الحقيرة التى لا يخزى إلا صاحبها ومن شايعه ، فلنذكر كلام الشيخ برمته ليتبين للملأ كذبهم .

قال رضى الله عنه وقد سُئل هل يتأتى زيادة غير الأنبياء على الأنبياء فى العلم ؟ الجواب : " **والله أعلم أن زيادة غير الأنبياء فى العلم جائز فى نفس الأمر لا إحالة فيه ولا يزرى ذلك بمرتبة النبى إلا أن هناك فرقاً ، أما فى العلم بالله وصفاته وأسمائه وتجلياته وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض فلا مطمع لغير النبى أن يزيد على النبى فى هذا الميدان فإن النبوة أكبر علماً وأوسع دائرة وأعظم إدراكاً فيما ذكرنا ، إذ لو كان غير النبى فى هذا الميدان يلحق درجة النبى أو يزيد عليه لساواه فى الفضل أو كان أفضل منه ، وأما فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلاً وتقلبات أطواره وانكشاف ما سيقع فيه فى المستقبل قبل وقته وهو كشف الغيوب الكونية فإن غير النبى قد يزيد على النبى فى هذا الميدان ، وهى قضية الخضر بعينها** " انتهى .

فمعرفة الأمور الكونية هى التى تتأتى فيها زيادة الولى على النبى وهذا واضح فى قصة تأبير النخل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**أنتم أعلم بأمر دنياكم**)) رواه مسلم ، ومن هذا ما أُمر أن يستشير فيه أصحابه رضوان الله عليهم ، ولا يضر الوزير أن لا يعلم ما يعلمه الحارس من بعض أمور لا يضره عدم العلم بها .

وقد دلس الخصوم عفا الله عنا وعنهم فاقتطعوا هذه الجملة من الوسط ، وحذفوا ما قبل هذه الجملة وما بعدها ، وأخفوا تقييده رضى الله عنه ذلك بالعلوم الكونية ، فخانوا أمانة الله

---

١٧ ـ سورة المائدة ، الآية ٧٣ .

فى العلم ، فهل هؤلاء يقام لهم وزن أو حكم يؤسس على خـزيهم الحقـير ؟ وقـد بـين الـشيخ نفسه أن كل كلام لولى يوهم شفوف مرتبته على الأنبياء فليس ذلك بمقصود له وقد بين وجهه .

فهل من منصف !

" وأما معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائماً بأى ذكر كان ، ثم إن الأذكار التى بها زوال الحجاب منها كليات وهى التى تقطع كل حجاب عن الروح من أى أمر كان ، ومنها تفصيليات لا تقطع إلا حجاباً من نوع واحد ، أما الكليات فهى لا إله إلا الله ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أو سبحان الله ، أو الحمد لله ، أو الله أكبر ، أو بسم الله الرحمن الرحيم ، أو الله الله الله ، والله لا إله إلا هو الحى القيوم ، وأما التفصيليات فهى سائر الأسماء الحسنى " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ بعد منتصف الفصل الثالث

– ٥ –

وليحذر الأحباب من اعتقاد أن شيئاً من الشريعة يُنسخ ، ومن اعتقد ذلك فهو كافر بالله خارج عن الملة ، ولا يمكن نسخ شئ ما من الشريعة بحال ، وعليهم أن يسألوا الله عز وجل بأسمائه الحسنى وما روى فى السنة وأذكار الكتاب ، أما ما روى عن الشيخ رضى الله عنه : **" نهانى صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء وأمرنى أن أتوجه بصلاة الفاتح "** فليس هذا من النسخ فى شئ وحمله عليه خطأ ، وليس معنى التوجه بالقرآن أن تترك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والذكر والتسبيح والتنفل بالصلاة ، ولا التوجه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أن تترك القرآن والأسماء والذكر وصلاة النافلة ، يعلم ذلك كله من عرف اصطلاح أهل التربية من أهل الطريق فى كتبهم ، فمعنى التوجه بنوع من العبادة أن يجعله أكثر عبادته فى سيره وسلوكه .

والذى سار عليه الشيوخ فى التربية أن يأمروا المريد بالتوجه باسم من الأسماء وليس معنى ذلك أن يترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، بل معناه أن يكون عمدته فى السير فيجعله أكثر شئ فى عبادته وهو محافظ على جميع أنواع العبادة ، فإذا رأى الشيخ أنه سيغلب عليه حال من الأحوال يرده إلى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى يثبت حاله ويصير مقاماً له لا يغلبه ثم يعود إلى ذكر الأسماء ، وهذا أمر متبع فى كل طرق التربية ، فهذا معنى كلامه رضى الله عنه .

أى أنه صلى الله عليه وسلم رأى أن حاله يقتضى أن تكون الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عمدته فى السير فى تلك الأيام ، ولم يكن حال توجهه بالأسماء تاركاً للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ولا العكس ، ومن له معرفة ولو بسيطة بالطريق يجد أهلها لا يزالون يذكرون الله بالأسماء ويتوجهون إلى الله بها ، وقد بين رضى الله عنه وأصحابه كيف يُسْلَك بها وأدب السير إلى الله من طريقها ، بل من الأوراد اللازمة ذكر الهيللة والاسم الفرد ساعةً كل جمعة ، وكتب الطريق مشحونة بالأسماء والسلوك بها ، فالمنكرون نادوا على أنفسهم بالجهل وإنهم يعترضون لأغراض فى نفوسهم .

" وأما ما استدلوا به على نبوة سيدتنا مريم بكلام الملائكة ، وعلى نبوة أم موسى بالوحى ، فالجواب على ذلك أن الله كلم إبليس بذاته ولا نبوة فيها ، إذ الرب سبحانه وتعالى أعلى من الملك ، وليست بنبوة فى حق إبليس " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ آخر الجزء الأول ـ فى أجوبته عن الآيات القرآنية

وليحذر الأحباب من أن يعتقد أحد منهم فى صلاة الفاتح أنها من القرآن أو تساوى القرآن أو أية آية منه أو أنها حديث قدسى أو من أى قسم من أقسام وحى النبوة .

ومن زعم ذلك فعليه إثم من زاد فى كتاب الله عز وجل وافترى عليه سبحانه ، وما روى عن الشيخ رضى الله عنه : أنها من كلام الله ، فقد ذكر سيدى العربى بن السائح فى **البغية** : إن ما نُقل عن الشيخ فى **الجواهر** غير هذا اللفظ وهو الذى يعين المراد ، وبين علماء الطريق ــ على التسليم بأن ذلك لفظ الشيخ رضى الله عنه ـ أن المقصود بذلك قسم من أقسام الإلهام الذى هو ثابت للأولياء ، لا وحى النبوة الذى انقضى بلحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ومن قال : إنها كالحديث القدسى ، لا يقصد أنها حديث قدسى والكاف للتشبيه ولا يلزم أن يتساوى المشبه والمشبه به .

والمذكور فى كتب الطريق أنها وصلت بطريق الإلهام للشيخ البكرى بأن وجدها فى صحيفة نورانية ، وهذا لا حرج فيه ولا محظور شرعاً ، ويتخرج كونها من كلام الله على أنها من نوع مخاطبة الحق للولى فى نومه ، وهو أمر مسلم به شرعاً ، ورؤية الله عز وجل فى النوم قد نص العلماء من محققى أهل السنة على جوازها عقلاً وشرعاً ، وذكر القاضى عياض الاتفاق عليها ، ونقلها الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى ، والزرقانى فى شرح المواهب للقسطلانى ، والشيخ عليش وكثيرون ، وإنما يثبت المنع فى رؤيته تعالى فى اليقظة لقوله صلى الله عليه وسلم : ((**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**)) رواه مسلم .

ونُقلت رؤية الحق سبحانه فى النوم وخطابه عن الجم الغفير من الصالحين وسلف الأئمة ، ورؤيته تعالى بغير كيف ، وإن رؤى بصورة فالصورة لها تأويل وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر

فى الفتح ، ولننقل لك من أوثق المصادر التى يعتمد عليها من يكتب فى البدعة مخاطبة الحق تبارك وتعالى للأولياء ومخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا على سبيل النبوة فإن ذلك مستحيل شرعاً ـ وحسبك أننى سأنقل ذلك عن الشاطبى وابن الحاج وابن تيمية .

ذكر أبو إسحاق الشاطبى فى أواخر الجزء الأول عن الكتانى رحمه الله قال : " رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : ادع الله ألا يميت قلبى ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت ، فهذا كلام حسن لا إشكال فى صحته ، وكون الذكر يحيى القلب صحيح شرعاً ، وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير وهو من ناحية البشارة ، وإنما يبقى الكلام فى التحديد بالأربعين وإذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن أبى يزيد البسطامى رحمه الله قال : رأيت ربى فى المنام ، فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال ، وشأن هذا الكلام من الشرع موجود فالعمل بمقتضاه صحيح " انتهى من الاعتصام .

وفى المدخل لابن الحاج فى أحوال المريض : " وقع بعض الناس فى شدة كبيرة فشكى ذلك للشيخ ـ يعنى الحافظ ابن أبى جمرة رحمه الله ـ فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشير على الشخص بأن يسبح مائة مرة ويحمد مائة مرة ويكبر مائة مرة ويقول : اللهم صل على محمد النبى الأمى مائة مرة ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة ثم يصلى اثنتى عشرة ركعة ويدعو بعدها بما يظهر له ثم يصلى ركعتين ثم يقرأ فى الختمة خمسين آية من آخر سورة البقرة ثم يصلى أربعاً وعشرين ركعة ثم يدعو بهذا الدعاء وهو : اللهم لا فرج إلا فرجك ففرج عنا كل شدة وكربة يا من بيده مفاتيح الفرج واكفنا شر من يريد ضرنا من إنس وجن وادفعه عنا بيدك القوية بإذنك وقدرتك إنك على كل شئ قدير ، ففعله فذهبت تلك الشدة التى كان فيها ذلك الشخص ، وكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول فى النوم للذى أخبره بما تقدم من التسبيح والصلاة والدعاء : إن من فعل هذا صادقاً فرج الله عنه شدته فى يومه ولو كانت أى شئ كان " انتهى .

ونقل فى هذا الفضل أموراً عن شيخه الفقيه الصوفى المحدث العارف الحافظ ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى مما دله عليه صلى الله عليه وسلم فى مداواة الأمراض الحسية بالقرآن والدعاء

والأدوية ، وكان يعمل بذلك ويعتمد عليه ويرشد إليه أصحابه وأحبابه ، وكان كثير الاجتماع به صلى الله عليه وسلم ، وكان يسأله فى شؤونه فيدله صلى الله عليه وسلم على خير العمل فيها رضى الله عنه ، ذلك حال أحباب الله وأحباب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهنا تبدو عناية الله وعناية رسوله بأحبابه ، فأين من هذا من حُرم منه ؟ رزقنا الله التوبة والهدى بفضله ، آمين .

وذكر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فى رسالة الصوفية والفقراء : " وقد روى أن عطاء السلمى رضى الله عنه رؤى بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لى : يا عطاء أما استحيت منى أن تخافنى كل هذا ؟ أما بلغك أنى غفور رحيم ؟ " .

ومن العجيب الغريب أن الأستاذ صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى ـ الذى يحتج به الشيخ الخضر وأشياعه ـ ذكر فى الصحيفة الثامنة من كتابه أوراد السادة الخلوتية عن الحضرة الأحمدية ، التى جمعها وعلق عليها بأمر شيخه سيدنا العارف الكامل الشيخ أحمد شرقاوى رضى الله عنه ، ما نصه : " ثم يحرم بالفجر وبعد السلام يقول : يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت أربعين مرة ، ثم يقول : يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسالك أن تحيى قلبى بنور معرفتك ، يا الله يا الله يا الله يا محيى الموتى برحمتك يا أرحم الراحمين " .

ثم ذكر فى التعليق على ذلك فى نفس الصحيفة ما نصه : " قوله أربعين مرة ، فى المنهل العذب أن أبا بكر الكتانى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت له : يا رسول الله ادع لى ألا يموت قلبى ، فقال لى : قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت ، قوله ثم يقول يا حى ...إلخ ، لما روى عن الحكيم الترمذى قال : رأيت رب العزة فى المنام فقلت : يا رب أخاف زوال الإيمان ، فقال : قل بين سنة الفجر والفريضة يا حى يا قيوم ...إلخ " .

ففى الرؤيا الصحيحة التى لا مخالفة فيها للشريعة لم يمنع العلماء نسبة هذا لله تبارك وتعالى أو لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لا على أنه وحى نبوة وإنما هو من الخطاب العام الذى لا يختص

بالأنبياء ويدل عليه قوله تعالى : (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاَّ وَحْياً أوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**)[١٨] .

وهذا يشمل الأنبياء وغيرهم ، ونقله الألوسى فى تفسيره عن صاحب الكشف قدس سره قال : " وأما نحن فنقول والله تعالى أعلم : إن قوله تعالى : (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ**) ، على التعميم يقتضى الحصر بوجه لا يخص التكلم بالأنبياء عليهم السلام ، ويدخل فيه خطاب مريم وما كان لأم موسى وما يقع للمحدثين من هذه الأمة وغيرهم " انتهى .

والفرق بين وحى النبوة ووحى الولاية أمر واضح عند أهل العلم وقد بينه المحققون ، وذكر الألوسى الخلاف فى الوحى إلى أم موسى ورجح أنه بواسطة الملك ، قال : " والظاهر أن الإيحاء كان بإرسال ملك ، ولا ينافى حكاية أبى حيان الإجماع على عدم نبوتها لما أن الملائكة عليهم السلام قد تُرسل إلى غير الأنبياء ويكلمهم ، وإلى هذا ذهب قطرب وجماعة ، وقال أبو حيان فى البحر المحيط : فإن كان الوحى بإرسال ملك كما هو الظاهر فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى ، وكما روى من تكليم الملائكة للناس " انتهى ، وزاد الشوكانى : وكتسليم الملائكة على عمران بن الحصين رضى الله عنه وهو ثابت صحيح ، ونحو ذلك قال ابن كثير فى البداية والنهاية : إنه وحى إلهام .

ولتعلم أن مخاطبة الملك للولى لا يلزم منها النبوة ، فقد قال تعالى : (**وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**)[١٩] ، (**إذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ**)[٢٠] ، (**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ، فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إنَّا أُرْسِلْنَا إلَى قَوْمِ لُوطٍ ، وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ، قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ**

---

١٨ ـ سورة الشورى ، الآية ٥١ .
١٩ ـ سورة آل عمران ، الآية ٤٢ ، ٤٣ .
٢٠ ـ سورة آل عمران ، الآية ٤٥ .

اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)[٢١] .

فإن قيل : إن هذه المكالمة بين الملائكة ومريم وسارة معجزة لرسولى الله عيسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فالجواب : إن ما يحصل للأولياء المحمديين من هذا القبيل هو معجزة لخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقال تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**)[٢٢] قال القاضى ابن العربى رحمه الله تعالى فى أحكامه : " تتنزل عليهم الملائكة ، قال المفسرون : عند الموت ، وأنا أقول : فى كل يوم وأوكد الأيام يوم الموت وحين القبر ويوم الفزع الأكبر ، وفى ذلك آثار بيناها فى موضعها " ، ويؤيد تصريح ابن العربى رحمه الله ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**إن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها**[٢٣] **، قال : لا غير أنى أحبه فى الله تعالى ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**)) ، قال النووى فى شرحه على مسلم : وفيه إن الآدميين قد يرون الملائكة .

والملك لا يتنزل إلا بأمر الله (**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**)[٢٤] ، ولا يفعل إلا ما به يؤمر (**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**)[٢٥] ، فالملك لم يحمل للولى إلا ما أُمر به ، وما ظهر له إلا بأمر الله تعالى ، وأمر الله للملك وحى تام وكلام حق ، ولكن مظهره للولى غير مظهره للنبى وشتان بين المرتبتين .

وقال الشعرانى فى اليواقيت والجواهر فى الجزء الثانى فى المبحث السادس والأربعون فى بيان وحى الأولياء الإلهامى والفرق بينه وبين وحى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك : " اعلم أن وحى الأنبياء لا يكون إلا على لسان جبريل يقظة ومشافهة ، وأما وحى الأولياء

---

٢١ ـ سورة هود ، الآيات ٦٩ ـ ٧٣ .
٢٢ ـ سورة فصلت ، الآية ٣٠ ، ٣١ .
٢٣ ـ أى تسعى فى إصلاحها .
٢٤ ـ سورة مريم ، الآية ٦٤ .
٢٥ ـ سورة التحريم ، الآية ٦ .

فيكون على لسان ملك الإلهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين ، فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات فى عالم الخيال وهو الوحى فى المنام فالمتلقى حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ، ومنه ما يكون خيالاً فى حس على ذى حس ، ومنه ما يكون معنى يجده الموحى إليه فى نفسه من غير تعلق حس ولا خيال ممن نزل عليه ، قال : وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبى عبد الله قضيب البان ، وغيره كبقى بن مخلد تلميذ الإمام أحمد رضى الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة فى ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوباً فى ورقة " انتهى ، فإن قلت : فما علامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولى العمل بها ؟ فالجواب : إن علامتها كما قاله الشيخ فى الباب الخامس عشر وثلاثمائة : " إن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير ، كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها " ، قال الشيخ : " وقد رأيت ورقة نزلت على فقير فى المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة ، فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين ، فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل ، لكن لا يعمل بها إلا إن وافقت الشريعة التى بين أظهرنا " انتهى .

وكل ما يذكره العارفون فى بقاء الوحى أو ما اصطلحوا على تسميته بنبوة الولاية فهذا هو المراد به ، لا ما زعم القاديانية والبهائية وأمثالهم من ضلال الزنادقة من بقاء النبوة فإنه كفر وضلال ، وقال الهروشى : " سألت شيخنا العياشى رحمه الله تعالى عن الثواب المذكور فى بعض فضائل الأعمال المروى عن غير النبى صلى الله عليه وسلم ، كقولهم من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة الفلانية كذا فهى بمثابة فدية ، أو الصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف أو غير ذلك ، فأجاب : بأن ذلك مما يلهمه الله تعالى لأوليائه يرونه مكتوباً بقلم القدرة على حجر أو ورق أو شجر أو يسمعون الهاتف أو يتلقونه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم أو اليقظة " .

وقال الألوسى فى تفسيره روح المعانى عند قوله تعالى (**وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**)[٢٦] ما نصه : " ومجرد الاجتماع بالملك والأخذ عنه وتكليمه لا يستدعى النبوة ، ومن توهم

---

٢٦ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .

استدعاءه إياها فقد حاد ـ كما قال اللقانى ـ عن الصواب " انتهى المراد ، ونُقل نحوه عن الإمامين حجة الإسلام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال وتلميذه مولانا القاضى أبى بكر بن العربى المعافرى المالكى فى كتابه قانون التأويل ، وقد نقل عبارتهما أيضاً الجلال السيوطى فى كتابه تنوير الحلك فى رؤية النبى والملك ، وقد نقل الإمام محمد بن مرزوق عن العلامة أبى العباس أحمد القرافى رحمهما الله تعالى أنه قال : " يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحى دون اطلاع وإعلام أنه نبى ، وهو باطل " وقال : " إن النبوة ليست هى مجرد الوحى كما يعتقده كثير لحصوله لمن ليس بنبى كمريم وليست نبية على الصحيح ، بل النبوة عند المحققين إيحاء الله لرجل بحكم إنشائى " انتهى ، وقال الأبى عند حديث تسليم الملائكة على عمران بن حصين رضى الله عنه ما نصه : " فيه كلام الملائكة لغير الأنبياء ...إلخ " ، وقال الحافظ السيوطى فى الخصائص : " فرق الشيخ عبد القادر الجيلانى بين وحى الأنبياء وبين ما يسمعه الأولياء بأن وحى الأنبياء يسمى كلاماً وإلهام الأولياء يسمى حديثاً ، فالكلام يلزم تصديقه ومن رده كفر ، والحديث من رده لم يكفر " انتهى .

ونقل الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب عن السرى بن يحيى عن رجل من طئ وأثنى عليه خيراً قال : " كنت أسأل الله عز وجل أن يرينى الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ، فرأيت مكتوباً فى الكواكب فى السماء : يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام " رواه أبو يعلى ورواته ثقات .

وروى الترمذى فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**كان فيمن كان قبلكم رجل يسمى الكفل وكان لا ينزع عن شئ ، فأتى امرأة علم بها حاجة ، فأعطاها ستين ديناراً ، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت ، فقال : ما يبكيك ، فقالت : لأن هذا عمل ما عملته قط وما حملنى عليه إلا الحاجة ، فقال : أتفعلين أنت هذا من مخافة الله تعالى فأنا أحرى بذلك فاذهبى ولك ما أعطيتك ، ووالله لا أعصيه بعدها أبداً ، فمات من ليلته وأصبح مكتوباً على بابه أن الله تعالى قد غفر للكفل ، فعجب الناس من ذلك حتى أوحى الله إلى نبى زمانهم بشأنه**)) وحسنه الترمذى ورواه ابن حبان والحاكم وصححه .

فها هى ذى الكتابة من الحضرة الإلهية بغير شعور من الناس ولم يعلم ذلك النبى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلا بعد الوحى .

ويصح أن تقع تلك الكتابة فى هذه الأمة بلا شك ، ويكون فيها ما يمكن أن يكون مما لا يصادم أصلاً ولا فرعاً من صلوات وأدعية وبشارات ، وقد روى ذلك وليس هذا من الوحى الخاص بالأنبياء فى شئ لأن جميعه من شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقيد بها ، وكلامنا هنا إنما هو فى الرؤيا الصحيحة وقد نص العلماء على جواز وقوعها وكذلك المشاهد الصحيحة .

ولا يعتبر الدعاء الذى يُتلقى فى هذه الحالة بدعة مادام لا يخالف شرعاً لأننا مأمورون بالدعاء بالكتاب والسنة ، وقد أطلق لنا الشرع الشريف فى أن ندعو بأى دعاء ورد فى السنة ، والآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم كانوا يدعون الله بما يلهمهم أو بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، فيعملون بهذا وبذاك ، ولا أقل من أن يكون ما يؤخذ عنه صلى الله عليه وسلم أو عن الحق تبارك وتعالى فى الرؤيا الصحيحة الصريحة له حكم ما يلهمه الداعى ويدعو به من عند نفسه .

ولعل بعض من لا معرفة له بالسنن وأصول الدين يزعم أن الدعاء بما يراه المؤمن فى نومه بدعة ، فلنذكر أصل ذلك من السنة الصحيحة :

فمن حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت ، فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً وضع عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود**)) ، قال الحسن : قال لى ابن جريج : قال لى جدك : قال ابن عباس : ((**فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد**)) فقال ابن عباس : ((**فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة**)) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان وصححه ، وابن ماجه والحاكم وقال : هذا حديث صحيح رواته مكيون لم يذكر واحد منهم بجرح وهو من شرط الصحيح ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى على تصحيحه .

ولم ينه النبى صلى الله عليه وسلم أحداً من أصحابه دعا بدعاء يرجو فيه خيراً من الله عز وجل ، ولم يقصر أصحابه على الأدعية النبوية ، فلا حرج على من دعا بأى دعاء تقره شريعته صلى الله عليه وسلم كما أقره هو فى حياته عليه أفضل الصلوات والتسليمات .

على أن كلامنا هنا فى غير الصلاة وإنما هو فى الدعاء المطلق ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم خارجها .

ومن حرم على أحد أن يدعو الله بما ألهمه الله بأى وجه من وجوه الإلهام متى لم يخالف شريعته صلى الله عليه وسلم فهو مبتدع ، مغير لدين الله ، متقدم بين يدى الله ورسوله ، محرم لما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته ، واليوم الحكم للشريعة فما أقرته فقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه مشرع لا يختص تشريعه بقوم دون قوم ولا زمن دون زمن ، قال تعالى : (**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**)[٢٧] .

فسيرته صلى الله عليه وسلم هى النبراس لمن اهتدى ، ومن كز[٢٨] عن سنته الشريفة فهو من المخطئين ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ((**بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من القائل كلمة كذا وكذا ؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله ، فقال : عجبت لها فُتحت لها أبواب السماء**)) فقال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ، رواه مسلم .

وعن رفاعة بن رافع الرزقى رضى الله عنه قال : ((**كنا نصلى وراء النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل من ورائه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال : أنا ، قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول**)) رواه مالك والبخارى وأبو داود والنسائى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : ((**إن النبى صلى الله عليه وسلم مر على أعرابى وهو يدعو فى صلاته : يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث**

---

٢٧ ـ سورة النساء ، الآية ٥٩ .
٢٨ ـ انقبض ونفر .

ولا يخشى الدوائر ، ويعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماءً ولا أرض أرضاً ولا بحر ما فى قعره ولا جبل ما فى وعره ، أجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه ، فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأعرابى رجلاً فقال : إذا صلى فإتنى به ، فلما صلى أتاه الأعرابى ، وكان قد أهُدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن ، فلما أتاه الأعرابى وهب له الذهب وقال : ممن أنت يا أعرابى ؟ قال : من بنى عامر ابن صعصعة يا رسول الله ، قال : يا أعرابى هل تدرى لم وهبت لك الذهب ؟ قال : للرحم التى بيننا وبينك ، قال : إن للرحم حقاً ، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله سبحانه وتعالى)) قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأذرمى وهو ثقة ، قال الحافظ فى التقريب : ثقة من العاشرة .

فأعجب لقوم يزعمون المعرفة والاتباع كيف يبلغ بهم الجهل حتى يصادموا السنة الشريفة ! فالرسول صلى الله عليه وسلم يكافئ من يحسن الثناء على الله عز وجل ، وهم يزعمون البدعة فيمن يحسن الثناء على الله تعالى ، وهم المبتدعة على التحقيق لأنهم يحرمون ما ندب إليه النبى صلى الله عليه وسلم .

ولو تحاكمنا إلى ما جرت عليه الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهم أفقه الناس لكلامه الشريف ـ لوجدناهم يدعون بما يلهمهم الله تبارك وتعالى ، أو يقرون من دعا بذلك ، وكذلك التابعون وتابعو التابعين ، فليرجع من شاء إلى كتب الأثر فى ذلك ، ومن الأدعية والصلوات صلاة ابن مسعود عليه صلى الله وسلم وقد رويت بسند حسن ، وصلاة ابن عباس رضى الله عنهما وغيرهما.

وقد روى النميرى وابن بشكوال عن عبد الله بن الحكم قال : " رأيت الشافعى رضى الله عنه فى النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمنى وغفر لى وزُففت إلى الجنة كما تزف العروس ونُثر على كما ينثر على العروس ، فقلت له : بم نلت هذه الحالة ؟ فقال لى قائل : بما فى كتاب الرسالة من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال :

قلت : وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ، قال : فلما أصبحت نظرت فى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت ، فصلى الله عليه وسلم " .

وليست هذه الأمور من الأحكام فما حدث فى ذلك حكم ، وقد تقرر حكمها فى شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ، فالدعاء والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وآله مطلوبة بالوارد وغير الوارد ، وهذا الذى جرت به السنة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، وجرى عليه الصحابة والتابعون وتابع التابعين ومحققو العلماء رضوان الله عليهم أجمعين.

وقال صلى الله عليه وسلم : ((**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**)) متفق عليه ، وليست بنبوة ، إذ النبوة لا تتجزأ فلا يوجد نصف نبى ولا ربع نبى ، وإنما المراد أنها من الحق ، وقد تناقشت مرة مع بعضهم فيما يُتلقى عنه صلى الله عليه وسلم فى النوم أو اليقظة ، فسألنى : هل يقال له حديث متصل أو منقطع أو مرسل ؟ فأجبته : إما أن تصدق قوله صلى الله عليه وسلم : ((**من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى**)) أو لا تصدق ، فإن لم تصدق فحسبك أن تكون خصماً للسنة ، وإن صدقت أن من رآه صلى الله عليه وسلم فقد رآه ، وأنه إن كلم الرائى بما لا يخالف الشريعة فهو حق فإن الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ، فسم كلامه ذاك ما تسميه ، فإننى لا أناقشك فى التسمية بعد ثبوت المسمى ، ولا خلاف أن ذلك لابد من عرضه على الشريعة ، فما خالفها فلا يعمل به وما وافقها فالحجة فيه الشريعة وإنما المشهد تبع لها ، ولا خلاف بين العلماء المحققين أن ذلك قد وقع ويقع من عصر الصحابة إلى الآن ، وطالما علم صلى الله عليه وسلم الصالحين أدعية وفوائد فى الطب وأخبرهم بحوادث وقعت أو تقع وكان لذلك أثره ، وكتب السنة والمناقب مشحونة بذلك.

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((**لقد كان فيمن قبلكم محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر**)) ، وفى رواية أبى هريرة : ((**رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء**)) ، وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى : " وإن يك فى أمتى ، قيل : لم يورد هذا القول مورد الترديد فإن أمته أفضل الأمم ، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم فإن وجوده فيهم أولى ،

وإنما أورده مورد الترديد كما يقول الرجل : إن يكن لى صديق فإنه فلان ، يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفى الأصدقاء " انتهى ، وهذا الذى عليه المحققون من العلماء ، ومن لم يفرق بين الوحى العام ـ وحى الإلهام ـ وبين الوحى الخاص ـ وحى النبوة ـ فقد أخطأ خطأً بيناً .

والخلاصة أن الشيخ رضى الله عنه لم يقل : إن صلاة الفاتح من القرآن ولا أنها أفضل من القرآن ، ومن قال ذلك فهو كاذب عليه رضى الله عنه ، ولا قال : إنها من الحديث القدسى ، وإنما يتخرج ما نسب إليه أنها من كلام الله على أنها من نوع ما يقع من الخطاب الإلهى للأولياء فى المنام ، أو يراه الولى مكتوباً ، أو يسمع هاتفاً به من بشارة أو نذارة ، أو تفهيم لآية ، أو فهم لما بلغه صلى الله عليه وسلم ، وليس هذا من الأحكام المحدثة فإن حكمه قد تقرر فى الشريعة من قبل ، وكل هذا من وحى الإلهام الجائز وقوعه للأولياء ، ولا يلزم من خطاب الحق تبارك وتعالى لعبدٍ النبوة ، ومن ظن ذلك فهو جاهل ، فقد خاطب الحق تعالى إبليس كفاحاً وهو من أكفر الكفار ، فخطاب الأنبياء خطاب انقضى بلحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وليس منه خطابه سبحانه للأولياء فهو بعيد عن وحى النبوة كما تقرر عند المحققين ، فهذا النوع لا يمكن أن يكون نبوة ولا أى قسم من وحى النبوة وإنما هو وحى إلهام ، والنبوة أمرها قد انقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم ، فلا نبوة بعده بحال ، وإنما هو من ميراث النبوة ، وقد نص سيدى العربى بن السائح فى **البغية** على أنها مما ورد إلى الشيخ البكرى بطريق من طرق الإلهام ، فإن أطلق أحد أنها من كلام الله عز وجل فلابد من تنزيله على هذا المعنى ، وهذا هو المراد منه ، لا أنها من القرآن أو من الحديث القدسى أو من أى قسم من وحى النبوة .

وقد ذكر بعض فقهاء الطريق جواباً يوجه إليه معنى كونها من كلام الله تعالى ، أى هى مقتبسة من كلامه تعالى ومأخوذة عنه لا أنها قرآن ، وإليك بيان ذلك :

اللهم : مقتبسة من قوله تعالى (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**)[٢٩] .

صل على : مقتبسة من قوله تعالى (**إِنَّ اللَّه وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**)[٣٠] .

---

٢٩ ـ سورة يونس ، الآية ١٠ .
٣٠ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

سيدنا : مقتبسة من قوله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام (**وَسَيِّداً وَحَصُوراً**)[٣١] .

وسيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الكمل بعض كماله وتسويده جائز ، فقد صح عند النسائى قول سهل بن حنيف للنبى صلى الله عليه وسلم : يا سيدى ، وقول أبى هريرة للحسن بن على عند الحاكم ، وصلاة ابن مسعود التى رويت بسند حسن فيها : اللهم صل على سيد المرسلين .

محمد : من قوله تعالى (**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ**)[٣٢] .

الفاتح لما أغلق : مقتبسة من قوله تعالى (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً**)[٣٣] ، (**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ**)[٣٤] ، وفى التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم : ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماءً وقلوباً غلفاً حتى يقولوا : لا إله إلا الله .

والخاتم لما سبق : مقتبسة من قوله تعالى (**وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**)[٣٥] ، (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**)[٣٦] .

ناصر الحق بالحق : مقتبسة من قوله تعالى (**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**)[٣٧] ، (**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ**)[٣٨] ، (**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**)[٣٩] .

والهادى إلى صراطك المستقيم : مقتبسة من قوله تعالى (**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)[٤٠].

وعلى آله : مقتبسة من قوله تعالى (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**)[٤١] .

---

٣١ ـ سورة آل عمران ، الآية ٣٩ .
٣٢ ـ سورة الفتح ، الآية ٢٩ .
٣٣ ـ سورة الفتح ، الآية ١ .
٣٤ ـ سورة المائدة ، الآية ١٩ .
٣٥ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .
٣٦ ـ سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ .
٣٧ ـ سورة محمد ، الآية ٧ .
٣٨ ـ سورة هود ، الآية ٨٨ .
٣٩ ـ سورة الإسراء ، الآية ١٠٥ .
٤٠ ـ سورة الشورى ، الآية ٥٢ .
٤١ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .

حق قدره : مقتبسة من قولـه تعـالى (**وَمَـا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[٤٢] ، (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**)[٤٣] .

ومقداره : مقتبسة من قوله تعالى (**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَار**)[٤٤] .

العظيم : مقتبسة من قوله تعالى (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[٤٥]

فخرج القول بأنها من كلام الله على كونها مقتبسة من كلامه عز وجل ولا شئ فـى ذلـك ، لا على أنها قرآن أو حديث قدسى ، ومن جعلها من القرآن فهو مرتد كافر ، ومن ساواها به أو فضلها عليه فهو ضال مضل والعياذ بالله تعالى ، والطريقة والشيخ وأهلها براء منه ، وحيث قـد تبين ذلك فقد انتفى الإبهام والإيهام ، والحمد لله رب العالمين .

---

٤٢ ـ سورة الأنعام ، الآية ٩١ .
٤٣ ـ سورة الحجر ، الآية ٧٢ .
٤٤ ـ سورة الرعد ، الآية ٨ .
٤٥ ـ سورة القلم ، الآية ٤ .

" **وشرط الورد المحافظة على الصلوات الخمس فى الجماعات ، والأمور الشرعية ، وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الذنوب فإنها عين الهلاك** " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ الفصل الرابع

وليحذر الأحباب من الأمن من مكر الله عز وجل مهما رأوا من الأحوال السنية وتحققوا بالأخلاق المرضية أو رأوا من البشارات فى الطريق أو سمعوا بها ، فقد قال تعالى : (**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**)[٤٦] .

ومن الأمن من مكر الله تعالى ارتكاب المعصية ، أو ترك الواجب اتكالاً على رحمة الله ، أو شفاعة نبى أو ولى ، أو عمل صالح أو نسبة ، ومنه أن يسقط من قلبه خشية عقوبته تعالى وإن أدى الواجبات الظاهرة والباطنة ، وكتب الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله تعالى عنه لبعض أصحابه يأمره بالتقوى ويحذره من الأمن من مكر الله تعالى اتكالاً على خصوصية ، قال : " **فلا تأمن مكر الله فى حال من الأحوال ، قال سبحانه وتعالى : (فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) فإن لله سبحانه وتعالى من وراء خصوصيته مكراً وتدبيراً وغيره يؤاخذ عبده بها من حيث لا يظن وإن كان من ذوى الخصوصية** " .

وعدم الأمن من مكر الله عز وجل شرط أساسى فى طريقتنا من أخل به تنقطع الصلة بينه وبين الطريق ، وقد بين الشيخ ذلك بنفسه ، وما ذكر فى الطريق من البشارات إنما هى بشارات لا يصح أن يتكل أحد عليها ، ومن اعتقد أن مجرد الورد يكفى لنجاة العبد من غير عمل بالشريعة المحمدية فهو غير مسلم ، فكيف يكون صوفياً سالكاً إلى الله عز وجل ؟ فإنه من شرطه المحافظة على الصلوات الخمس والمحافظة على الأمور الشرعية وعدم الأمن من مكر الله عز وجل ، ولفظ الشيخ فى **الجواهر** : " **وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات والأمور الشرعية ، وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الذنوب فإنها عين الهلاك** " ذكره فى أول رسائله رضى الله عنه من الجزء الثانى .

---

٤٦ ـ سورة الأعراف ، الآية ٩٩ .

فحقيقة الأمر أن الأشياخ يقولون : إن من حافظ على الكتاب والسنة ، وحافظ على الذكر والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والنوافل ، وأحب الصالحين وصحبهم وتخلق بأخلاقهم حتى مات على ذلك ، فله من الفضل كذا وكذا مما هو ثابت فى الكتاب والسنة .

فإن كان الخصم يؤمن أن لله عباداً صالحين يستجاب دعاؤهم وتقبل شفاعتهم ، فأى شفاعة ترجى خير من أن يشفعوا لأحبابهم أن يرزقهم الله التوبة والإنابة والدرجات العلى قبل رحيلهم من هذه الدار ـ دار الامتحان ـ إلى دار الجزاء .

وهل أُمر المؤمنون بصحبة الصالحين إلا لتعود عليهم بركتهم ، ولأنها مظنة القدوة الصالحة !

وقد قال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه عن مريديه : " إنهم لا يموتون إلا على توبة " ، كما نقله أخو الأستاذ الخضر الشنقيطى ابن مايأبى فى كتابه نثر ونظم الورد القادرى صحيفة ٨٥ ، وهو وتلاميذه ينشرون هذا الكتاب حين يعطون أوراد الطريقة القادرية ، وعلى هذا فمن لم يمت على توبة ممن انتسب إليه لا يعد من تلاميذه لأن الشرط فيه أن يموت على توبة ، والشيخ التجانى رضى الله عنه سأل الله عز وجل أن يموت تلاميذه لا على التوبة فحسب ولكن على التوبة والتحقق بالمعرفة الكاملة ، فمن مات غير تائب فليس من تلاميذه لأن صفاتهم التى ذكرها رضى الله عنه لم تتحقق فيه .

ولنسق هنا خلاصة ما فى التعليق على **الإفادة** فى هذا الموضوع :

" ولنذكر هنا صفات أصحاب الشيخ رضى الله عنه فإن كثيرين لا يعلمون ما يشترط فى صاحبه ، ذكر سيدى عمر بن سعيد الفوتى خليفة الشيخ رضى الله عنه ـ وهو من خواص هذه الطريق الذين بلغوا فيها المعرفة الكاملة ـ من شروط المريد فى هذه الطريقة التى من لم يقم بها فليس من أهل الطريقة ، المحافظة على الصلوات فى أوقاتها وبر الوالدين وعدم المقاطعة بينه وبين المسلمين والقيام بالأمور الشرعية " انتهى .

والأمور الشرعية كلمة تجمع المحافظة على الواجبات علماً وعملاً واعتقاداً وترك المحرمات كذلك ، وعلى هذا فمن مات مرتكباً أى معصية كانت ولم يتب إلى الله عز وجل منها فليس بتجانى ، فلا يعتبر من أصحابه رضى الله تبارك وتعالى عنه ، ولذلك قال رضى الله عنه إن

أصحابه لا يموتون إلا فى المرتبة العليا من الولاية ، ولا يخفى على من له معرفة بأحوال السير إلى الله عز وجل أن مقام التوبة هو أول مقامات السير إلى الله فمن أخل به فليس من الولاية ولا من الطريقة فى شئ .

ومن وقعت منه المعصية فتاب وصدق فى التوبة فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، قال تعالى : (**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**)[٤٧] ، وفى الصحيح قال صلى الله عليه وسلم : ((**إنما الأعمال بالخواتيم**)) ، وقد قيد الشيخ البشارات بقوله : " **كل ما قلته لكم هو حق واقع إن سلمنا من مكر الله عز وجل** " .

وما روى عن الشيخ رضى الله عنه من أن صاحبه تُغفر ذنوبه الكبائر والصغائر ، ويأمن هول الحشر وعذاب القبر ، ويدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ، وتسقط عنه كل تبعة ، ويكون فى عليين بجوار سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من تعلق به ، وتؤدى عنهم تبعاتهم ، وكون الحق تبارك وتعالى يعطيهم مثل ما يعمل غيرهم ويضاعف لهم ببركة حبهم الأسمى لأصحابه صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل ذلك الفضل بالأصالة رضوان الله عليهم إلى غير ذلك ، فكل هذا لا يتحقق إلا فيمن مات تائباً ، أما من مات مرتكباً والعياذ بالله تعالى فعصيانه إخلال بالشرط الذى اشترطه رضى الله عنه من المحافظة على الأمور الشرعية كلها ، فلم تتحقق فيه صفات أصحابه رضى الله عنه لأن من صفاتهم أن يموتوا على توبة وكذلك من تعلق به وبأحبابه إن شاء الله تعالى .

ومثل هذا ما روى عنه : " **ليس لأحد أن يُدخل أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا إلا أنا وحدى** " ، فقد علمت أن من لم يمت على توبة فليس من أصحابه ، ولذلك قال رضى الله عنه : " **صاحبى لا تأكله النار ولو قتل سبعين نفساً ، إذا تاب بعدها** " ، فشرط صحبته الموت على التوبة والتوبة تجب ما قبلها .

---

٤٧ ـ سورة الفرقان ، الآية ٧٠ .

وقد كان المنكرون على الطريق غير أمناء فنقلوا عن الشيخ رضى الله عنه : " **صاحبى لا تأكله النار ولو قتل سبعين نفساً** " وتركوا قوله : " **إذا تاب بعدها** " فصنعوا كمن يقول : (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**)[٤٨] ويترك (**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**)[٤٩] ، نعوذ بالله من الخيانة وقلة الدين.

وقد ذكر رضى الله عنه أن من سمع هذه البشارات واتكل عليها وألقى نفسه فى معصية الله سبحانه وتعالى واتخذها حبالة للأمن من مكر الله عز وجل ولم يمن عليه بالتوبة فهو هالك لا محالة ، ولابد من انقطاع الصلة بينه وبين الشيخ رضى الله عنه ، وذلك أثر الغيرة الإلهية ، ولابد أن تنقلب محبته للشيخ عداوة ، نعوذ بالله من معاداة المؤمنين وخاصة الكاملين ، وقد قال سبحانه فى الحديث الصحيح القدسى : ((**من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب**)) ، وفى رواية : ((**من آذى لى ولياً**)) ، ولن تجد أحداً اتخذ هذه البشارات فى طريقته السامية سُلماً لشهواته إلا طرده الله تبارك وتعالى منها وصرفه الصارف الإلهى عنها ، أما من كانت تلك البشارات تسره ولا تغره ولا يأمن مكر الله بحال فلا يزداد فى الطريق إلا ثباتاً ولا يعرف ولله الحمد فيها إلا الكتاب والسنة والعمل بما أمر الله ورسوله واجتناب ما نهى عنه الله ورسوله .

وما رأيت من عادى هذه الطريق وأهلها إلا مبتلى والعياذ بالله بالكبائر ، حتى من كان صالحاً لا يلبث أن تنقلب حاله ويظهر عليه أثر المقت من الكذب والتزوير وارتكاب المعصية والسقوط .

وكون الله عز وجل يغفر ذنوب المؤمنين إلا من شاء دخولهم النار ثابت ، وكون من المؤمنين من يدخل الجنة بغير حساب زيادة على السبعين ألفاً الواردة ثابت ، فقد أخرج الترمذى وحسنه والطبرانى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى أمامة رفعه : ((**وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى**)) ، وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيد من حديث عتبة بن عبد نحوه بلفظ : ((**ثم يشفع كل ألف فى سبعين ألفاً ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه**)) ، وفيه :

---

٤٨ ـ سورة الماعون ، الآية ٤ .
٤٩ ـ سورة الماعون ، الآية ٥ .

((**فكبر عمر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن السبعين ألفاً يشفعهم الله تعالى فى آبائهم وأمهاتهم وعشائرهم ، وإنى لأرجو أن يكون أدنى أمتى الحثيات**)) .

وفى حثية من حثيات الحق يدخل التجانى وأحبابه وأصحابه وأكثر منهم ، اللهم إلا اجترأ مفتر على الله فحدها بحد أو قدرها بقدر لا دليل فيه إلا رأى سخيف ما أنزل الله به من سلطان .

ورفع المؤمنين إلى عليين فى معيته صلى الله عليه وسلم ثابت ، وأما أداء التبعات فالفرض أنهم تائبون ، وحديث ترضية الخصم عن خصمه يوم القيامة من محض الفضل رواه الحاكم وصححه من حديث أنس ، وهو أمر لا يبعد على الفضل الإلهى ولم ينف ذلك شرع ، وقد ذكر الخصم نفسه فى كتاب إنكاره أن التائب الذى عجز عن أداء ما عليه من الحقوق يجوز بل يقع أن يرضى الله خصمه عنه يوم القيامة .

أما كون الحق تبارك وتعالى يعطيهم من فضله مثل ما عمل غيرهم ويضاعفه لهم فذلك بحبهم الصادق لأصحابه صلى الله عليه وسلم الذين هم أصحاب هذه المنزلة بالأصالة ، وكون بعض الناس يلحق بأصحابه صلى الله عليه وسلم بالتبعية بحبهم ثابت فى حديث أنس رضى الله عنه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ((**جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحب قوماً لم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب**)) ، وروى أحمد عن جابر : ((**المرء مع من أحب**)) ، وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : ((**يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم ، قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت ، قال :فإنى أحب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت ، قال : فأعادها أبو ذر ، فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم**)) رواه أبو داود ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**)) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن سهل بن حنيف ومعاذ رضى الله عنهما .

وليس فى هذا أى مخالفة لقوله تعالى : (**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**)[٥٠] ، لأن من زعم أن معنى الآية أن المرء لا ينتفع إلا بسعيه فهو مخطئ فى فهم الآية الشريفة ، وفرق بين أن تدعى الملكية فيما ليس لك وأن تطلب الانتفاع بما ليس لك مع شهود الفضل لصاحبه واعترافك أنه ليس لك فإن هذا الأخير ثابت ، وهو مثل انتفاعك بما لصديقك أو قريبك أو داره مع اعترافك أنها له لا لك .

وقال الشيخ ابن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة :

أحدها : إن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير .

ثانيها وثالثها : إن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف فى الحساب ثم لأهل الجنة فى دخولها ثم لأهل الكبائر فى الخروج من النار وهذا انتفاع بسعى الغير .

رابعها : إن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض وذلك منفعة بعمل الغير .

خامسها : إن الله تعالى ليخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : إن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بعمل الغير .

سابعها : قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين : (**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**)[٥١] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما .

ثامنها : إن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل الغير .

تاسعها : إن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير .

عاشرها : إن الحج المنذور أو الصوم يسقط بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير .

حادى عشرها : المدين الذى امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر على بن أبى طالب رضى الله عنه وانتفع بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وبرئت ذمته بقضاء دينه وهو من عمل غيره .

---

٥٠ ـ سورة النجم ، الآية ٣٩ .

٥١ ـ سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

ثانى عشرها : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده : ((**ألا رجل يتصدق فيصلى معه**)) ، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

ثالث عشرها : إن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير .

رابع عشرها : إن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير .

خامس عشرها : إن الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات كما جاء فى الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : إن جليس أهل الذكر يُرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها : الصلاة على الميت والدعاء له فى الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه وهو عمل غيره .

ثامن عشرها : إن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع البعض بالبعض .

تاسع عشرها : إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**)[٥٢] ، وقال تعالى : (**وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ**)[٥٣] ، وقال تعالى : (**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ**)[٥٤] ، فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير .

عشروها : إن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل وينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعى له .

الحادى والعشرون : إن الزكاة تجب فى مال الصبى والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعى له .

---

٥٢ ـ سورة الأنفال ، الآية ٣٣ .
٥٣ ـ سورة الفتح ، الآية ٢٥ .
٥٤ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٥١ .

ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف تـؤول الآيـة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ؟

وقال ابن القيم فى كتاب الروح بعد أن ذكر وجوهاً فى الآية : وإن طائفة قالت : " إن العبـد بإيمانه كان سبباً فى انتفاعه بسعيه وسعى إخوانه المؤمنين له ولو لم يكن مؤمنـاً لمـا انتفـع بـذلك وإيمانه من سعيه" ، وقال : " وهذه طريقة لطيفة حسنة جداً " ، قـال : " وقالـت طائفـة أخـرى : القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه ، وبين الأمرين من الفرق مـا لا يخفى ، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعى غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذلـه لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه ، وهو سبحانه لم يقل : لا ينتفـع إلا بمـا سـعى " ، قـال : " وكـان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها " ، ثم قال : " وأما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وسلم : ((**إذا مات العبد انقطع عمله**))[55] فاستدلال ساقط ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقـل : انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر عن انقطاع عمله ، وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو ، فالمنقطع شئ والواصـل إليـه شـئ آخـر ، وكـذلك الحديث الآخر وهو قوله : ((**إن مما يلحق الميت من حسناته وعمله**)) فلا ينفى أن يلحقه غـير ذلك من عمل غيره وحسناته " .

وقد نقل الخصم بنفسه التفسير الصحيح للآية الشريفة قـال فـى صـحيفة ١٤٢ : " قـال ابـن عطية : والتحرير عندى أن ملاك المعنى فى اللام من قوله للإنسان ، فـإذا حققـت الـشئ الـذى حق للإنسان أن يقول : لى كذا ، لم يجز إلا سعيه ، وما زاد من رحمة لشفاعة أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات ونحو ذلك فليس هو للإنسان ولا يصح أن يقـول : لى كـذا ، إلا على تجوز وإلحاق بما هو له حقيقة ، وسـأل عبـد الله بـن طـاهر والى خراسـان الحـسين بـن الفضل عن هذه الآية من قوله تعالى : (**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**)[56] فقال : ليس لـه بالعـدل إلا ما سعى وله بفضل الله ماشاء الله ، وهذا ذهاب منه إلى قـول مـن قـال : لم ينـف فـى الآيـة انتفاع الرجل بسعى غيره له وإنما نفى ملكه لسعى غـيره ، لأن قائـل ذلـك يـرى أن الـلام فـى

---

٥٥ ـ وتمامه ((إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) رواه أصحاب السنن إلا ابن ماجه .

٥٦ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

للإنسان للملك وهو أخص من مجرد انتفاع الإنسان بما لغيره وهو المراد هنا ، فمن تصدق عن غيره مثلاً بمال لا يصير المال مقصوراً نفعه على من تصدق عنه بحيث ينتفى ثوابه بالكلية عن المتصدق وبين الأمرين فرق " انتهى .

فرجاؤنا فى محض الفضل الإلهى أن يرزقنا من المحبة الكاملة لأصحابه صلى الله عليه وسلم ما يلحقنا بهم بحبهم وإن لم نعمل بمثل عملهم ، والصحابة تضاعف لهم الأعمال من غير ريب ، ويصح أن يلحق بهم أحبابهم كما ثبت فى الحديث ، ومن زعم أن هذا يخالف قوله تعالى : (**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**)[٥٧] فخير له أن يبحث عمن يفهمه الآية .

وإنما هو من رجاء انتفاع المسلم بحب من هو خير منه وإلحاقه به ، على أن ذلك الإلحاق ليس له وإنما هو لله .

فنحن نرجو أن ينفعنا الله بعملنا وأن ينفعنا بمحض فضله تبارك وتعالى ، ومستحيل أن ندعى أن ما يتفضل به سبحانه علينا هو لنا وإنما هو له وحده تبارك وتعالى ، بل أعمالنا التى تفضل سبحانه بأن نسبها إلينا الفضل فيها له وحده عز وجل .

وهل يمكن لأحد أن يأتى بدليل على أن الحق تبارك وتعالى لا يمنح عبداً مؤمناً بمحض الفضل من الخير ما لا يستحقه ؟

وحيث قد علمت أن شرط تلك البشارات الموت على التوبة الصادقة ، فخبرنى بربك ما تقول فى رجل عاش عمره مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على عقيدة أهل السنة والجماعة ، يحل ما أحل الله ويحرم ما حرمه ، يتقى الله ما استطاع ، محافظاً على صلاته وعلى ما أوجب الله عليه ، منتهياً عما نهى الله عنه ، إن وقعت منه معصية تاب إلى الله منها ورجع وأناب ، يذكر الله ، ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويستغفر من ذنوبه حتى مات تائباً محباً لسائر الأولياء والصالحين ، شديد التعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين ، شديد الحب لأصحابه صلى الله عليه وسلم .

---

٥٧ ـ سورة النجم ، الآية ٣٩ .

فهل من حرج على من رجا لهذا أن يمنحه الله تبارك وتعالى ما ذكر الشيخ رضى الله عنه وأكثر مما ذكره مما لا يمنع الشرع أن يعطيه الله لعبده المؤمن بمحض الفضل الإلهى !

اللهم إن العلم فى واد وأولئك الذين يريدون أن يتحكموا على فضل الله فى واد ، على أن الشريعة المحمدية كلها ليس فيها ما يمنع أن يتفضل الله على عبد سوءٍ مات مؤمناً مرتكباً بذلك الفضل وليس له ولا يستحق منه شيئاً ، ولكنه من محض الفضل بمحض الجود والكرم ، وقد تقدم معنى قوله تعالى : (**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**)[٥٨] ، وأن من زعم أن معناها أن العبد لا ينتفع بعمل غيره أو بفضل الله لم يفهم الآية .

ونقل الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم** ... الآية)[٥٩] : " أخرج الحاكم وصححه عن على ((**أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**)) ، وأخرج سعيد بن منصور وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم والبيهقى فى سننه عن ابن عباس قال : " إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه فى الجنة وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم**...الآية " ، وأخرج البزار وابن مردويه عن ابن عباس رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((**إن الله يرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ، قال : وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين**)) ، وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((**إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وذريته وولده فيقال : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك ، فيقول : يا رب قد عملت لى ولهم ، فيؤمر بإلحاقهم به ، وقرأ ابن عباس وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم... الآية**)) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم**...الآية) ، قال : هم ذرية المؤمن يموتون على الإسلام فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم لحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوا شيئاً " انتهى ، الحافظ السيوطى .

---

٥٨ ـ سورة النجم ، الآية ٣٩ .
٥٩ ـ سورة الطور . الآية ٢١ .

وقد صح الحديث بأن الجنة ينشئ لها خلقاً رواه الشيخان والترمذى ، وما عملوا شيئاً ولكنه محض الفضل الإلهى .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((**إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ... الحديث بطوله**)) ، وفيه : ((**فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم**)) هذا لفظ البخارى ، وفى رواية لمسلم قال : ((**إن لله ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم ... الحديث**)) وفى آخره ((**يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**)) .

فهو ليس من الذاكرين بشهادة الملائكة المعصومين ، وخطاء بصيغة المبالغة وأُلحق بهم .

من كان له أذن للسمع فليسمع ، ومن كان لديه ذرة من الإنصاف فلينصف ، أما من زعم أن هذه البشارات هى لآخذ الورد من غير قيد ولا شرط كما كذب الكاذبون فحسبهم أنهم كاذبون ، ولننقل لك زعمهم وكلام الشيخ رضى الله عنه لتقارن بين الحق والباطل ، ولا يخفى أن الشرط يتنزل عليه كل ما فى كتب الطريق ويرجع إليه :

كلام مولانا العارف التجانى رضى الله عنه	**دعوى الكاذب ابن مايأبى الشنقيطى على شيخنا رضى الله عنه**
وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات ، والأمور الشرعية ، وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الذنوب فإنها عين الهلاك . وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله فى مقارفة الذنوب باعتقاد أنه آمن من مؤاخذة الله له فى ذلك ، فإن من وقف هذا الموقف بين يدى	وهذا الرجل جعل ورده ضامناً لآخذه دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب فى أعلى عليين مع النبيين والمرسلين من غير قيد ولا شرط ص ١٢٥ من كتابه . وأتباع هذا الرجل حصول منقبتهم غير مشترط فيه شروط ولا وصف ، بل تغفر ذنوبهم الكبائر والصغائر وإن لم يعملوا عملاً صالحاً طول أعمارهم .

الحق تعالى ودام عليه فهو دليل أن يموت كافراً والعياذ بالله تعالى . **الجواهر** ـ الجزء الثانى ـ فى أول رسائله رضى الله عنه .	

وقد نقلنا كلام هذا الرجل هنا مع حذف شتائمه الوقحة التى يستحق عليها العقاب ، ليعلم المنصفون أنه رجل ساقط يفترى على أولياء الله الكذب والبهتان .

وما من كتاب أُلف فى شروط الطريقة إلا وذكر من شروطها المحافظة على الأمور الشرعية علماً وعملاً واعتقاداً ، وعدم الأمن من مكر الله عز وجل فهو شرط أساسى فى الطريق .

فكلام هذا الرجل كذب صريح دل على تحامله بالباطل ، وسوء نيته وخراب ذمته لارتكابه الكذب والتدليس فسقط بذلك من فريق العلماء ، لأن العالم الذى يحترم رأيه إنما هو المخالف فى الفهم مع الإنصاف وعدم الهوى ، أما من يختلق الأكاذيب ويدلس فهو محتقر مهين لا حرمة له .

وكل ما لدينا إنما هو الرجاء ، ولا نقطع لأنفسنا بهذه الفضائل ، ولكننا نرجو أن يمن الله علينا بها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**حسن الظن من حسن العبادة**)) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، والترمذى والحاكم ولفظهما : ((**إن حسن الظن من حسن عبادة الله**)) .

وعن واثلة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**قال الله جل وعلا : أنا عند ظن عبدى بى ، إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله**)) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

وهل على من رجا أن يتحقق الوعيد فى القليل من الأمة من حرج ؟ وهلا يتحقق الوعيد إلا إن كان يشمل معظم الأمة المحمدية !

ونهاية القول أن الطريقة عمل وخوف ورجاء وحب وشكر ، فيا معشر الأحباب أبشروا واحذروا فإن العواقب مجهولة والخاتمة مغيبة ، هذه هى الطريقة المشرفة أحيانا الله عليها وأماتنا عليها ، آمين .

" الجهل بالله عين الكفر الصراح المجمع على خلود صاحبه فى النار أبداً ، والجهل بالله تعالى هو عين المعرفة بالله تعالى وصريح الإيمان المجمع على خلود صاحبه فى الجنة أبداً ، فأما الجهل الذى هو عين الكفر فهو الجهل بمرتبة ألوهيته بما تستحقه من الكمالات واللوازم والمقتضيات وما تتنزه عنه من وجوه المستحيلات فهذا هو عين الكفر بالله ، وأما الجهل الثانى فهو الجهل بالحقيقة الذى هو كنه الذات من حيث ما هى هى فإن هذا الجهل هو صريح الإيمان وكمال المعرفة بالله إذ حقيقة العجز عن درك المعرفة بالكنه هو حقيقة الإيمان بالله ومن ادعى معرفة الكنه فقد كفر " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ الفصل الثالث فى إشاراته العلوية

- ٨ -

وليحذر الأحباب من أن يعتقد أحد منهم أن الرحمة التى نفاها الله عز وجل عن الكفار تقع لأحد منهم ، وما روى عن العارفين والمحققين من العلماء من أن الكفار لم يخرجوا عن الرحمة فالمراد بها غير تلك الرحمة المنفية عنهم فإنها خاصة بالمؤمنين ، وإنما يتكلمون عن الرحمة العامة ، فإن كل موجود لا يخلو من نعمته سبحانه وتعالى وأدنى ذلك نعمة الوجود وإن لم يقدرها قدرها ، حتى المُعذب الذى لا يخفف عنه العذاب لم يخل من رحمة الحق سبحانه العامة ، فإن وجوده وعذابه مستحيل أن يكون عبثاً ولا يخلو من الحكمة على سائر المذاهب فكونه مظهراً للحكمة نعمة من الله عليه وإن لم يشعر بها فإن العبرة بالحقائق ، ومستحيل أن يكون عذابه سبحانه لمحض التشفى ، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

ومن هنا كان داخلاً تحت حيطة النعمة والرحمة العامة لا الخاصة ، وأيضاً فالحق تبارك وتعالى لو عذبه أضعاف عذابه لكان مستحقاً ، فإبقاؤه فى تلك المرتبة بغير زيادة العذاب من الحق عليه رحمة من الرحمة العامة لا الخاصة بالمؤمنين .

فهذا الذى يعنيه العارفون بأن كل موجود على أى حال كانت ما خرج عن الرحمة ، ومن الرحمة العامة ما ورد عن تخفيف العذاب عن بعض أهل النار ، وذلك أن الله تبارك وتعالى

قال : (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**)[٦٠] ، وهذا عام يدخل فيه معاصى المؤمنين ومعاصى الكافرين غير الشرك ، فعذاب الشرك لا يخفف وفى ذلك ما ورد من عدم تخفيف العذاب ، وأما العذاب على المعصية التى دون الشرك فهو داخل تحت المشيئة فيجوز أن يخففه الله تبارك وتعالى بمحض فضله لا لحسنات المشرك فإنها حبطت بالشرك ، وهذا الذى رجحه جمع من المحققين منهم البيهقى والحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى ، وممن جوز التخفيف سعيد بن جبير والقرطبى وابن المنير والقسطلانى والحافظ ابن الجزرى وجميع السادة الصوفية .

ولننقل لك بعض ما ذكر فى ذلك :

أخرج البخارى من حديث عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبى سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبى سفيان أخبرتها أنها قالت : ((**يا رسول الله انكح أختى بنت أبى سفيان ، فقال : أوتحبين ذلك ؟ فقلت : نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركنى فى خير أختى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن ذلك لا يحل لى ، قلت : فإنا نحدث إنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة ، قال : بنت أم سلمة ، قلت : نعم ، فقال : لو أنها لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى ، إنها لابنة أخى من الرضاعة ، أرضعتنى وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن**)) ، قال عروة : " وثويبة مولاة لأبى لهب ، وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة ، قال له : ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب : لم ألق بعدكم غير أنى سقيت فى هذه بعتاقتى ثويبة " .

قال الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى : " قوله : بعض أهله ، بالرفع على أنه النائب عن الفاعل ، وذكر السهيلى أن العباس قال : لما مات أبو لهب رأيته فى منامى بعد حول فى شر حال ، فقال : ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عنى كل يوم اثنين ، قال : وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها .

قوله : غير أنى سُقيت فى هذه ، كذا فى الأصول بالحذف أيضاً ، ووقع فى رواية عبد الرزاق المذكورة وأشار إلى النقرة التى تحت إبهامه ، وفى رواية الإسماعيلى المذكورة وأشار إلى

---

٦٠ ـ سورة النساء ، الآية ٤٨ .

النقرة التى بين الإبهام والتى تليها من الأصابع ، وللبيهقى فى الدلائل من طريق ... كذا مثله بلفظ يعنى النقرة ... إلخ ، وفى ذلك إشارة إلى حقارة ما سُقى من الماء .

وفى الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح فى الآخرة لكنه مخالف لظاهر القرآن ، قال الله تعالى : (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً**)[٦١] .

وأجُيب أولاً بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذى فى الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ولعل الذى رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يُحتج به ، وثانياً على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم مخصوصاً بذلك بدليل قصة أبى طالب كما تقدم أنه خُفف عنه فنقل من الغمرات الى الضحضاح ، وقال البيهقى : ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذى يستوجبونه على ما ارتكبوا من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات ، وأما عياض فقال : انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض ، قلت : وهذا لا يرد الاحتمال الذى ذكره البيهقى فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر ، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه ، وقال القرطبى : هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه ، وقال ابن المنير فى الحاشية : هنا قضيتان إحداهما محال وهى اعتبار طاعة الكافر مع كفره ، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح وهذا مفقود من الكافر ، الثانية إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل ، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبى لهب لثويبة قربة معتبرة ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبى طالب ، والمتبع فى ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً ، قلت : وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك ، والله أعلم " انتهى من فتح البارى بنصه .

---

٦١ ـ سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذُكر عنده عمه أبو طالب فقال : ((**لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فُيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه**)) البخارى .

قال الحافظ ابن حجر فى شرحه " قوله : ((**لعله تنفعه شفاعتى**)) ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجى واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم : ((**تنفعه شفاعتى**)) بقوله تعالى : (**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**)[٦٢] ، وأُجيب بأنه خاص ولذلك عدوه فى خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى المنفعة فى الآية تخالف معنى المنفعة فى الحديث ، والمراد بها فى الآية الإخراج من النار وفى الحديث المنفعة بالتخفيف ، وبهذا الجواب جزم القرطبى ، وقال البيهقى فى البعث : صحت الرواية فى شأن أبى طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ، ووجهه عندى أن الشفاعة فى الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق فى أنه لا يشفع فيهم لأحد وهو عام فى حق كل كافر ، فيجوز أن يخص منهم من ثبت الخبر بتخصيصه ، قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطييباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافرين لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباءً ، وأخرج مسلم عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم : ((**وأما الكافر فيعطى حسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة**)) ، وقال القرطبى فى المفهم : اُختلف فى هذه الشفاعة ، هل هى بلسان قولى أو بلسان حالى ؟ والأول يشكل بالآية وجوابه جواز التخصيص ، والثانى يكون معناه أن أبا طالب لما بالغ فى إكرام النبى صلى الله عليه وسلم والذب عنه جوزى على ذلك بالتخفيف فأُطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه ، قال : ويجاب عنه أيضاً أن المخفف عنه لما لم يجد أثر التخفيف فكأنه لم ينتفع بذلك ، ويؤيد ذلك ما تقدم أنه يعتقد أن ليس فى النار أشد عذاباً منه ، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال ، فالمعذب لاشتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف ، قلت : وقد يساعد ما سبق ما تقدم فى النكاح من حديث أم حبيبة فى قصة بنت أم سلمة ((**أرضعتنى وإياها ثويبة**)) ، قال عروة : إن أبا لهب رؤى فى المنام فقال : لم أر بعدكم

---

٦٢ ـ سورة المدثر ، الآية ٤٨ .

خيراً غير أنى سُقيت فى هذه بعتاقتى ثويبة ، وقد تقدم الكلام عليه هناك ، وجوز القرطبى فى التذكرة أن الكافر إذا عرض على الميزان ورجحت كفة سيئاته بالكفر اضمحلت حسناته فدخل النار ، ولكنهم يتفاوتون فى ذلك ، فمن كانت له منهم حسنات من عتق ومواساة مسلم ليس كمن ليس له شئ من ذلك ، فيحتمل أن يجازى بتخفيف العذاب عنه بمقدار ما عمل لقوله تعالى : (**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً**)[٦٣] ، قلت لكن هذا البحث النظرى معارض بقوله تعالى : (**وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا**)[٦٤] وحديث أنس الذى أشرت إليه ، وأما ما أخرج ابن مردويه والبيهقى من حديث ابن مسعود رفعه : ((**ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله ، قلنا : يا رسول الله ما إثابة الكافر ؟ قال : المال والولد والصحة وأشباه ذلك ، قلنا : وما إثابته فى الآخرة ؟ قال : عذاباً دون العذاب ، ثم قرأ : أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**[٦٥])) فالجواب عنه أن سنده ضعيف ، وعلى تقدير ثبوته فيحتمل أن يكون التخفيف فيما يتعلق بعذاب معاصيه بخلاف عذاب الكفر " انتهى .

وقال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**)[٦٦] : " وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنى عبد الله بن لهيعة ، حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله (**وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**) : فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً ، وقد يستدل له بالحديث الصحيح أن العباس قال : يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشئ ؟ قال : **نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار** ، وقد يكون هذا خاصاً بأبى طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا عمران ، حدثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويُجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بها فى الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة** " انتهى .

---

٦٣ ـ سورة الأنبياء ، الآية ٤٧ .
٦٤ ـ سورة فاطر ، الآية ٣٦ .
٦٥ ـ سورة غافر ، الآية ٤٦ .
٦٦ ـ سورة النساء ، الآية ٤٠ .

وقال الزرقانى فى شرح المواهب : " **وقد رؤى** بالبناء للمفعول **أبو لهب بعد موته فى النوم** والرائى له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر ، ذكره السهيلى وغيره ، **فقيل له : ما حالك ؟ قال : فى النار إلا أنه خفف عنى** بعض العذاب بسب ما أسقاه من الماء **كل ليلة اثنين** وذلك أنى **أمص** بفتح الميم أفصح من ضمها من بابى تعب وقتل كما فى المصباح **من بين أصبعى هاتين ماء** والظاهر أنهما السبابة والإبهام وحكمة تخصيصهما إشارته لها بالعتق بهما ، وحملناه على أن التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخارى وعبد الرزاق والإسماعيلى عن قتادة : أن ثويبة مولاة أبى لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة فقال : ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم ، زاد عبد الرزاق : راحة ، ولفظ الإسماعيلى : رخاء ، قال ابن بطال : سقط المفعول من جميع رواة البخارى ولا يستقيم إلا به ، غير أنى سقيت فى هذه ، زاد عبد الرزاق وأشار إلى النقرة التى تحت إبهامه بعتاقتى ثويبة ، حيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة أى سوء حال ، وأصلها حوبة وهى المسكنة والحاجة قلبت واوها ياء لانكسار ما قبلها وذكر البغوى أنها بفتح الحاء وللمستملى بخاء معجمة مفتوحة أى فى حاله خائبة وقال ابن الجوزى : إنه تصحيف وروى بالجيم قال السيوطى : وهو تصحيف ، **وأشار** أبو لهب إلى تقليل ما يسقاه **برأس أصبعه** إلى النقرة التى تحت إبهامه كما مر فى رواية عبد الرزاق ، قال ابن بطال : يعنى أن الله سقاه ماء فى مقدار نقرة إبهامه لأجل عتقها ، وقال غيره : أراد بالنقرة التى بين إبهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم أن النقرة التى أشار إليها على صورة خلقته فى الدنيا لا على صورة الكفار فى جهنم ، والمراد بقوله : سقيت من الماء ، أنه وصل إلى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لا أنه يؤتى له به من خارج جمعاً بين الروايتين .

وقد تعسف من قال : ما يسقاه ليس من الجنة لأن الله حرمها على الكافرين فإنه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا إنه يسقى بما يمصه أو يؤتى له به من خارج حتى ينص عليه و أشار إلى **أن بإعتاقى ثويبة** وتقدمت رواية الجماعة بعتاقتى بفتح العين ، قال فى شرح العمدة : عبر به دون إعتاق وإن كان هو المناسب لأنها أثره فلذا أضافها إلى نفسه ، وعلى نقل المصنف فمعنى

الإضافة ظاهر لأن الإعتاق فعله والعتاقة أثر يترتب عليه **حين بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له** أى بأمره فلا يرد أنه ليس فعله حتى يجازى عليه ولا يعارضه قوله تعالى : (**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً**)[٦٧] ، لأنه لما لم ينجهم من النار ويدخلهم الجنة كأنه لم يفدهم أصلاً كما أشار البيهقى أو لأنه هباءً بعد الحشر وهذا قبله ، وقال السهيلى : هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف ، أى لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به الجنة " انتهى .

وجوز الحافظ تخفيف عذاب غير الكفر بما عملوه من الخير بناءً على أنهم مخاطبون بالفروع ، وفى التوشيح قيل : هذا خاص به إكراماً للنبى صلى الله عليه وسلم كما خُفف عن أبى طالب بسببه ، وقيل : لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيراً .

قال الحافظ أبو الخير شمس الدين ـ **ابن الجزرى** ـ محمد بن محمد بن محمد الدمشقى الإمام فى القراءات الحافظ للحديث صاحب التصانيف التى منها النشر فى القراءات العشر لم يصنف مثله ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ومات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة : **فإذا كان هذا الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه هو ليلة مولد** وضع **النبى صلى الله عليه وسلم به** أى بالمولد ، **فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام** حال كونه **يسر** ، وفى نسخة **الذى يسر** ، بمولده **ويبذل** بضم الذال يعطى بسماحة **ما تصل إليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم** من الصدقات ؟ وهو استفهام تفخيم فحاله بذلك أمر عظيم .

ولله در حافظ الشام شمس الدين محمد ابن ناصر فى قوله :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحدا

وقوله يوم الاثنين على حذف مضاف أى فى ليلة يوم الاثنين فلا يرد عليه حديث المصنف كل ليلة اثنين ، الصريح فى أن التخفيف ليلاً فلا وجه لدعوى أنه يخفف نهاراً بسبب سقيه ليلاً

---

٦٧ ـ سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

لاحتياجه لبرهان ، ومجرد النظم لا دلالة فيه لما علم من كثرة حذف المضاف ، **لعمرى** بالفتح أى لحياتى ، قسمى كما فى القاموس لغة فى العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لكثرة دوره على ألسنتهم كما فى الأنوار ، إنما يكون **جزاؤه** من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم **جنات النعيم** ، وقد نقل الخصم فى كتابه التخفيف عن أبى طالب وأبى لهب عن الزرقانى .

وبذلك قد وضح لك أن العارف التجانى لم يأت ببدع من القول فى قوله أن الكفار وهم يعذبون ما خرجوا من الرحمة العامة ، لا الرحمة الخاصة بالمؤمنين ، رضى الله عنه .

ونحو هذا ما يروى عنه من اندراجهم فى المحبة العامة ، وقد فسر رضى الله عنه تلك المحبة بمعنى الإرادة والمشيئة ، وبين أن المحبة بمعنى الميل والولوع مستحيلة على الله عز وجل ، ويصح أن تكون بمعنى الرضا والتكريم أو بمعنى الإرادة والمشيئة فالأولى خاصة بالمؤمنين والأخرى عامة تشمل الوجود كله ، وكان من الدين والأمانة أن لا يهمل تفسيره لها .

ومستحيل أن يكون وجودهم وعذابهم غير مراد لله عز وجل ، ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى : (**فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ**)[٦٨] ، وقوله : (**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**)[٦٩] ، إذ ليس معناه أن وجودهم غير مراد له ، تعالى الله علواً كبيراً ، سبحانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأما ما نقله الخصوم عنه من أن الكفار قد تأخذهم إغماءة وهم فى العذاب ويتخيلون أنهم يأتون بالفواكه وهى خيالية غير حقيقية وقد نفى فى الآيات الشراب الحقيقى والنعيم الحقيقى ، فليس هذا بكلامه وقد ترك الخصوم ما قبل هذا الكلام وهو قوله رضى الله عنه : " **وقد ذكر بعض أهل الحقائق** " فهو ناقل له ، فإن كان هناك اعتراض فيجب أن يوجه إلى صاحب هذا الكلام وهو سيدى محيى الدين بن العربى فى الفتوحات المكية ، نعوذ بالله من الخيانة والتدليس ، وقد مر ما ذكر العلماء فى سقيا أبى لهب فهل يضللون بذلك ؟ كلا .

وعلى أى حال فنحن موقنون أن قوله تعالى : (**لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ**)[٧٠] حق ، وقوله تعالى : (**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً ، إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً**)[٧١] ، وقوله تعالى : (**فَذُوقُوا**

---

٦٨ ـ سورة آل عمران ، الآية ٣٢ .
٦٩ ـ سورة الشورى ، الآية ٤٠ .
٧٠ ـ سورة البقرة ، الآية ١٦٢ .
٧١ ـ سورة النبأ ، الآية ٢٤ ، ٢٥ .

فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً)[٧٢] ، لا مرية فيه من شك فيه فهو كافر والعياذ بالله ، وكلام الشيخ رضى الله عنه والعارفين فى غير هذا الموضع ، وقد تبرأوا بما يخالف الشريعة ونبهوا الناس على أنه مكذوب عليهم ، وكل ما نسب إليهم ولم يمكن انطباقه على الشريعة فهم براء منه ، وإنما موضع كلامهم أن الله عز وجل لم يظلم الكفار فى عذابهم ، وما خرجوا عن الحكمة والفضل الإلهى وهم من العذاب فى أشده وإن كانوا لا يشعرون ولا يعرفون وإن لم يعرف الناس ، وأن كل ذلك بإرادة الحق ومشيئته وله فى ذلك حكم يعلمها هو تبارك وجهه وعز شأنه ، وهذا هو الإيمان الخالص ثبتنا الله عليه وبعثنا عليه ، آمين .

٧٢ ـ سورة النبأ ، الآية ٣٠ .

" اعلم أن النص الصريح والكشف الصحيح من أربابه لا يختلف مادة ولا نهاية فكلاهما واحد من عين واحدة " .

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ منتصف الفصل الثالث

" ولنا قاعدة واحدة عليها تنبنى جميع الأصول أنه لا حكم إلا لله ورسوله ، ولا عبرة فى الحكم إلا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستنداً لقول الله أو قول رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكل قول لعالم لا مستند له من القرآن ولا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل ، وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرام الفتوى بها "

سيدى أحمد التجانى

جواهر المعانى ـ الجزء الثانى ـ منتصف الفصل الخامس

وليحذر الأحباب من اعتقاد أن الشريعة المحمدية يصح أن يزاد عليها شئ أو ينقص منها أو يقع فيها تحوير أو تبديل ، قال تعالى : (**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**)[٧٣] ، وجميع ما استنبطه العلماء والعارفون أو فهموه أو جاءهم من طريق الإلهام والتلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نوم أو يقظة فلابد من عرضه على الشريعة ، فإن وافقها عمل به وهى الحجة فيه وإلا فيحرم العمل به .

ومن ادعى حدوث تشريع بعده صلى الله عليه وسلم فهو ضال مضل والأمر فى الأحكام قد فرغ منه ، وإنما يتلقى العارفون علوماً ومعارف هى تفصيل لما أجمل وتفهيم وتعريف وبشارات قد جاءت بجميعها الشريعة وتقررت فيها ، ولا يحدثون حكماً وهم مقيدون تابعون لما مضى من الأحكام الشرعية لا يخرجون عنها ، ومن خرج عنها فقد ضل ضلالاً بعيداً .

---

٧٣ ـ سورة المائدة ، الآية ٣ .

وحيث إن فى طرق أهل الله أموراً قد يخفى على غير المحقق إرجاعها إلى أصلها من الشريعة المطهرة فيظنها مما تأباه الشريعة وهى من صميم الشريعة ، فلنذكر لذلك مثلاً ليتضح الحق للمنصفين ، هدانا الله والمسلمين ، آمين :

١ ـ إطلاق القول بأن تحديد الأذكار بدعة محرمة أو مكروهة باطل ، وهو بدعة فى الدين

وأولئك الذين ذهبوا لهذا الرأى ظنوا كلام العلامة أبى إسحاق الشاطبى فى التحديد بغير سبب شرعى حجة لهم ولم يفهموا كلامه ، وحسب بعض القوم أن ذلك محدثة إضافية وربما رفعها بعضهم إلى المحدثة الحقيقية ، فالذى نراه أن ذلك البعض ليس على صواب ، فإنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : ((**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**)) رواه الشيخان ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((**إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع**)) رواه البخارى ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((**يا فلان : لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه**)) رواه البخارى ، فإذا كان أحب الأعمال إلى الله مادام عليه صاحبه وإن قل ، وأنا وأنت وغيرنا كل يرى القدر الذى يستطيع أن يدوم عليه من العبادة والكلام هنا فى النافلة ـ مهما كان قليلاً ــ ثم يدوم عليه ، وإذاً فأمر التحديد موكول لما يراه هو مطيقاً للمداومة عليه ، وقد رأيتنى أطيق الدوام على عدد كذا من الاستغفار وعدد كذا من التسبيح ومقدار كذا من القرآن ... إلخ ، فليس لأحد أن يلومنى على هذا التحديد لأن الشارع وكله إلى نظرى ، ومعنى **وإن قل** صريح فى ذلك .

ويعين المصير إلى هذا الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بقدر من العبادة فقال : يا رسول الله إنى أطيق أفضل من ذلك ، فأقره على طاقته إلا ما كان مظنة المشقة وهو صوم الدهر فوكله إلى طاقته ، وهذا صريح فيما نذهب إليه ، إذاً فإطلاق القول بأن المداومة على طاعة محدودة لم يحددها الشارع محدثة مبلغ علمنا فيه أنه خطأ ولسنا مطالبين أن نفكر برؤوس القوم ، وهذه السنة الصحيحة التى لا مطعن فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، والمهم فى الأمر أننا لا نلزم أحداً

بالاقتداء بنا فى هذا الذى ظننا أننا نقدر على المداومة عليه من النوافل عملاً بقوله تعالى فى الحديث القدسى : ((**وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه**)) البخارى ، وللناس أن يختاروا ما يختارون ، وقد يوافق اختيارهم اختيارنا وقد يخالفه فلا حرج فى ذلك .

فمن حدد لنفسه قدراً من الذكر يغلب على ظنه أن فى طاقته الاستمرار عليه واستمر عليه بالفعل ولم يمنعه عنه إلا عذر ـ وقد ورد أن المعذور يكتب له أجر العمل ـ فهو عامل بالحديث ، وعمله من أحب الأعمال إلى الله عز وجل ، فإن صلى فى ليلة عشرين ركعة وفى أخرى عشراً وفى أخرى خمساً فالقدر الذى يدوم عليه هو أحب الأعمال إلى الله ، والقدر الذى ينقطع عنه أحياناً يكون محبوباً فحسب ، وليس فى هذا أى وجه من وجوه البدعة ، ومن زعم ذلك فهو مصادم للسنة الصحيحة ولا يلتفت إلى زعمه .

وإنما تدخل البدعة إن ألزم الناس بهذا التحديد ولم يلزمهم به الشارع ، وقد تقدم كلام الشيخ أبو إسحاق الشاطبى فى أواخر الجزء الأول عن الكتانى رحمه الله قال : " رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبى ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت ، ثم قال : فهذا كلام حسن لا إشكال فى صحته ، وكون الذكر يحيى القلب صحيح شرعاً ، وفائدة الرؤية التنبيه على الخير وهو من ناحية البشارة ، وإنما يبقى الكلام فى التحديد بالأربعين وإذا لم يوجد على اللزوم استقام " انتهى .

وهذا فى غير ما إن نذره على نفسه مع استثناء وقت العذر وكان القدر المنذور مظنة للقدرة على المداومة عليه مع انتفاء وجوه المشقة وما يوجب السآمة والملل ، فإن الالتزام هنا له موجب شرعى وهو قوله تعالى : (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**)[٧٤] ، (**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**)[٧٥] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه**)) وهو فى الصحيح .

وأهل الطريق رضوان الله عليهم لم يوجبوا على أحد أخذ طريقهم ولا الاشتغال بها ، وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم فاستحسنوا ما هم عليه ، ووجدوا أنهم يطيقون المداومة

---

٧٤ ـ سورة الإنسان ، الآية ٧ .
٧٤ ـ سورة الإنسان ، الآية ١١ .

على هذا القدر بعد أن اختاروه لأنفسهم بمحض إرادتهم واشتغلوا به مستندين للحديث الصحيح : ((**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**)) فالمرجع فى الكل إلى الشريعة المطهرة لا مجرد كلام الأشياخ رضوان الله عليهم .

وبهذا قد وضح لك سقوط كلام من لم يدقق النظر فى هذه المسألة وادعى خطأ أن كل تحديد لم يحدده الشارع بدعة ، وكان يجب عليه أن يقول : كل تحديد لم يأذن به الشارع فهو بدعة ، وهذا التحديد قد ثبت الإذن فيه من الشارع ، بل من اقتدى بالعامل فى ذلك فعمل مثل عمله من غير إيجاب على الناس أو إلزام بالتزام ذلك فإنه يدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم : ((**من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده**)) أخرجه مسلم فى الصحيح ، وأخرجه الترمذى بلفظ : ((**من سن سنة خير**)) فالمسألة من جميع أطرافها موزونة بالشريعة ، والحجة فيها الشريعة .

ومما أخطأ فيها من أخطأ دعواه أن الاجتماع للذكر بدعة ، وليس ببدعة بل هو من السنة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر**)) رواه الترمذى عن أنس وقال : حسن غريب ، وحديث الصحيحين : ((**إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون مجالس الذكر**)) ذكر الحافظ ابن حجر أن الصحيح دلالته على مجالس الذكر ويصح أن تدخل فيها أيضاً مجالس العلم .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل ، قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه**)) قال الحافظ المنذرى : رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به ، ونحوه عن أبى الدرداء بسند حسن ، والأحاديث فى ذلك كثيرة .

ولا يصح معارضة تلك الأحاديث المرفوعة بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال لمن وجدهم يذكرون جماعة : " لقد جئتم ببدعة ظلماً أو لقد فقتم أصحاب محمد علماً " ذكره الدارمى والطبرانى وأبو نعيم ، وهذا قول صحابى لا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا

يصح عن ابن مسعود فإن فى سنده مجالد بن سعيد ولا يحتج به ، قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ ، وقال الإمام أحمد : مجالد بن سعيد ليس بشئ ، وقال ابن معين : لا يحتج به ، وقال الدارقطنى : ضعيف .

وعن يعلى بن شداد قال : حدثنى أبى عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : ((**كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب ـ يعنى أهل الكتاب ـ ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : أرفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد ، ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم**)) رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى وغيرهما .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبى صلى الله عليه وسلم وهو يجيبهم :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك فى الأنصار والمهاجرة

وهو قول ابن رواحة رضى الله عنه .

وأخرج من حديث أبى معبد مولى ابن عباس رضى الله عنهما أنه أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته .

ومن السنة الثابتة الاجتماع على الذكر عقب الصلوات فى أيام التشريق ، فمن أنكر على الاجتماع للذكر فهو إما جاهل بالسنة ، أو معاند لا يصح أن يسترسل المصنف فى الجدل معه ، فالمسألة من جميع أطرافها موزونة بالشريعة والحجة فيها للشريعة .

٢ ـ معنى التشريع العام والخاص

ندب الشارع المؤمنين إلى ذكر الله عز وجل فقال تعالى : (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُون**)[٧٦] ، (**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**)[٧٧] ، (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**)[٧٨] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون**)) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه ، وفى الحديث القدسى فى الصحيح : ((**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**)) ، إلى غير ذلك ، فالناس مأمورون بذلك أمراً عاماً يشملهم جميعاً .

ومن الأذكار التى نوه النبى صلى الله عليه وسلم بفضلها ((**لا حول ولا قوة إلا بالله**)) ، وقد ثبت عن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ((**قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة**)) فأصبح سيدنا أبو موسى رضى الله عنه مأموراً بها أمراً عاماً مع الناس وأمراً خاصاً قد توجه له من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا منافاة بينهما .

ومن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ـ ورؤياه حق بنص الشارع ـ يأمره بذكر مما أذنت به شريعته المطهرة صلى الله عليه وسلم ، كأن أمره بالمحافظة على ثلاث وثلاثين من التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة ، فله فيه أمران أمر عام مع الناس وأمر خاص قد توجه له من النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا منافاة بينهما .

أو رجل نذر على نفسه أن يقرأ عدداً من الأذكار أو الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم متوضئاً فى مكان طاهر رحب إن توافر له ذلك ، فإن الشارع يلزمه بالوفاء بنذره إن توفرت له الطهارة التى اشترطها ، فإن لم تتوافر فلا يلزمه وليس ذلك بمانع أن يقرأه بغير تلك الطهارة ولكنه يكون ذكراً مندوباً ليس هو الذى ألزم نفسه به ، فإن توفرت له الطهارة وفى به .

---

٧٦ ـ سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .
٧٧ ـ سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .
٧٨ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٤١ ، ٤٢ .

ومن رآه صلى الله عليه وسلم يأمره بدعاء الله عز وجل وذكره على طهارة كاملة فتلك السنة ، فإن كان قد نذر ذلك على نفسه فرآه يأمره بالوفاء بنذره فإنما أمره بما يأمر به شرعه الشريف جميع الأمة من الوفاء بالنذر .

ومن اختار لنفسه عدداً من أى ذكر وكان مظنة لسهولة المداومة عليه طول الحياة من غير مشقة أو ملل وداوم عليه ، فهذا شئ قد أذنت به الشريعة وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، فمن رآه صلى الله عليه وسلم يأمره بذلك فقد أمره بما أذنت فيه شريعته وله فيه الإذن العام مع الناس ، فإنه حاصل لكل الأمة بأن يختاروا القدر الذى يطيقون المداومة عليه ، وله فيه الإذن الخاص منه صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أن ترى النبى صلى الله عليه وسلم يشرح لك آية من كتاب الله عز وجل أو حديثاً بما يطابق الشرع الشريف واللغة ، فإن هذا القدر إذا حصل لامرئ بمجرد فهمه ودراسته فإن الشريعة لا اعتراض فيها عليه بل يثاب على ذلك .

وقد أخرج البخارى فى صحيحه من حديث أبى جحيفة قال : " قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم " .

وأى فرق بين أن يحصل هذا بمجرد الفهم أو الإلهام أو رؤياه صلى الله عليه وسلم ، وسواء قلت برؤية النوم أو اليقظة ؟ غير أن هذا إن حصل برؤياه صلى الله عليه وسلم ومع مطابقة ما فهم مما أصله مطابق للشريعة كان له فيه مزيد خصوصية هى تعليمه صلى الله عليه وسلم ، وهذا الذى يسميه العارفون الصحبة الروحية له صلى الله عليه وسلم والتلقى عنه مما يسمى عندهم بالتشريع الخاص .

وبهذا يتضح لك معنى التشريع العام والتشريع الخاص الذى يذكره العارفون رضوان الله عليهم ، ويقولون : إنه لم ينقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم ، وما هو إلا عين شرعه المعروف عنه صلى الله عليه وسلم ، فلم يحدث فى الشريعة وإنما هو أن يرى أحد النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بما أمرت به الشريعة ، والحجة فى ذلك والمرجع والميزان هو شرعه الشريف صلى الله عليه وسلم ، ويشترط فيما يتلقاه العارف ألا يتنافى مع الشريعة فى شئ ، فإن كان بينهما

تناف فلا عمل إلا على شريعته صلى الله عليه وسلم ، ويكون قد دخل على الرائى الوهم فيما رأى ، أو هى رؤيا مؤولة يُحرم حملها على ما يخالف الشريعة .

هذا هو الحق فى هذا الموضوع لا إفراط ولا تفريط ، ومن ظن أن هناك منافاة بين التشريع العام والخاص الذى يقصده العارفون فهو جاهل بما هم عليه رضوان الله عليهم أجمعين .

وإذاً فزعم المنكرين أن قول العارفين بأن هناك تشريع خاص يلزم منه أن الشريعة لا تزال تزيد إلى آخر الدهر وأنها يجوز إحداث حكم فيها كلام ساقط لا يعول عليه ، لأن كلام العارفين مرجعه إلى الكتاب والسنة ، وما لا يمكن رجوعه إليهما فهو مكذوب عليهم وقد تبرأوا منه ، أو هو محرف عنهم لم يحسن حامله نقله ، ولا يقرون العمل به بأى حال .

٣ ـ الصحبة الروحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خزيمة بن ثابت قال : ((**رأيت فى المنام كأنى أسجد على جبهة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبرت بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الروح ليلقى الروح ، فأقنع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه هكذا فوضع جبهته على جبهة النبى صلى الله عليه وسلم**)) رواه أحمد بأسانيد أحدها هذا وهو متصل ، ورواه الطبرانى وقال : ((**فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس واسجد واصنع كما رأيت**)) ورجالهما ثقات .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((**من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**)) ، وأخرج من حديث أبى هريرة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((**من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى**)) ، قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته .

وكتب السنة مشحونة بأن رؤياه صلى الله عليه وسلم حق وأن الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ، وقد يخيل الشيطان لبعض الناس أن الله يخاطبه ، ولا يمكنه ذلك فيه صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق تبارك وتعالى منزه عن الصور فلا يدخل فى ذلك اللبس على المؤمن ، والرسول صلى الله عليه وسلم بشر ، ومثل ذلك من ادعى الإلوهية قد يجرى خارق العادة على يده ولا يجرى على مدعى النبوة كذباً لظهور بطلان دعوى مدعى الإلوهية فلا لبس فيها ، ولكن خرق العادة لو أجرى على يد الكاذب لالتبس الأمر ولما عرف الصادق من الكاذب .

فمن زعم أن الشيطان يظهر لأحد فى النوم أو فى اليقظة مدعياً أنه هو صلى الله عليه وسلم فهو مصادم للسنة الصحيحة ، ولفظه صلى الله عليه وسلم عام : ((**فإن الشيطان لا يتمثل بى**)) ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فمن الصالحين من يمن الله عليه بكثرة رؤياه صلى الله عليه وسلم ، وهذه حال ظاهرة فى الدلالة على اعتناء الحق تبارك وتعالى بصاحبها ، وقد ثبت فى الشريعة أن هذا الاجتماع حق لا مدخل للشيطان فيه .

وإنما يكون ذلك نتيجة الصدق فى محبته صلى الله عليه وسلم مع المتابعة الحقة لا المتابعة المزيفة المقتصرة على الرسوم الظاهرة مع خراب الباطن ، وإنما المراد المتابعة الواجبة المقصودة بالذات من كمال الإيمان وطهارة الباطن والظاهر والتحلى بالأخلاق المحمدية وعمارة القلب والقالب بما أمرت به الشريعة المطهرة مع إشراق النور الربانى ، وبهذه المناسبة يتأهل العبد بالتشريف بمعيته صلى الله عليه وسلم ، وأن قوله تعالى : (**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**)[٧٩] فقد صح عند أهل الحق أن هذه المعية ثابتة لمن شاء الله فى الدنيا والآخرة ، عرف من عرف وجهل من جهل ، ولا يضير الحقيقة جهل الجاهلين بها ، ولا يمكن أن يكون المحروم من هذا الفضل حجة على من منَّ الله عليه به ، وإنما يكون من علم حجة على من لم يعلم .

وها هى ذى الشريعة المطهرة ناطقة بذلك ، فهلم فليتحاكم إليها المتحاكمون (**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**)[٨٠] ، (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**)[٨١] ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**)) رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود .

ولنسق هنا مثلاً لأولئك الذين منَّ الله عليهم بهذا الفضل العظيم ، روى أحمد عن المثنى ، يعنى ابن سعيد ، قال : " سمعت أنساً يقول : قل ليلة تأتى علىَّ إلا وأنا أرى فيها خليلى صلى الله عليه وسلم ، وأنس يقول ذلك وتدمع عيناه " ورجاله رجال الصحيح .

وذكر الشيخ ابن الحاج المالكى فى كتابه المدخل عن شيخه العارف الكامل الحافظ ابن أبى جمرة أحد أئمة المالكية رضى الله عنهم : " إنه كان إذا نزلت به نازلة أو أحد أصحابه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يخرجه منها ، وكان يرجع إليه صلى الله عليه وسلم فى سائر شؤونه " ، فراجع المدخل فى فصل أحوال المريض ترى عجباً .

---

٧٩ ـ سورة النساء ، الآية ٦٩ .
٨٠ ـ سورة النساء ، الآية ٥٩ .
٨١ ـ سورة النساء ، الآية ٦٥ .

ونُقل عن الإمام أبى القاسم القشيرى رحمه الله أن ولده مرض مرضاً شديداً ، قال : " حتى أيست منه واشتد الأمر علىَّ ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فشكوت له ما بولدى ، فقال لى : أين أنت من آيات الشفاء ؟ فانتبهت ففكرت فيها ، فإذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى ، وهى قوله تعالى : (**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**)[٨٢] ، (**وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**)[٨٣] ، (**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**)[٨٤] ، (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**)[٨٥] ، (**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**)[٨٦] ، (**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**)[٨٧] ، قال : فكتبتها فى صحيفة ثم حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال ، أو كما قال " انتهى .

وقد حضنا الشارع على الصحبة الصالحة لما لها من الأثر العملى ولأنها مظنة الأسوة الحسنة ، قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**)[٨٨] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**)) رواه البخارى ومسلم .

ومن ذا الذى لا يحرص على أن يكون ممن قال فيهم صلى الله عليه وسلم : ((**ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه**)) ، فيما أخرج فى الصحيح ((**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله**)) .

ومن فى العالم كله أحق بأن يُصحب ويُتخذ حبياً فى الله ممن منَّ الله عليه بهذه الصحبة الروحية فتشرف بالمعية المحمدية ، فإنه جامع للاتباع الظاهر الذى جاءت به الشريعة والاتباع العملى الباطن الذى اختص الله به أهل الشهود ، وأحرى إذا ارتقى الأمر به فى هذا المقام حتى استوى نومه ويقظته فى كمال المشاهدة مع التمكين ، فمثل هذا طبيب بصير جمع الله له بين علم

---

٨٢ ـ سورة التوبة ، الآية ١٤ .
٨٣ ـ سورة يونس ، الآية ٥٧ .
٨٤ ـ سورة النحل ، الآية ٦٩ .
٨٥ ـ سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .
٨٦ ـ سورة الشعراء ، الآية ٨٠ .
٨٧ ـ سورة فصلت ، الآية ٤٤ .
٨٨ ـ سورة التوبة ، الآية ١١٩ .

اليقين وعين اليقين ، الإيمان العلمى والإيمان الشهودى ، والعلم العقلى والنقلى وعلم المشاهدة ، ومنَّ الله عليه بالصحبة الظاهرة والباطنة من شهود وذوق وتمكين وفهم عن الحق ، قد أطلعه الله على أسرار الشريعة وحكمتها ، فهو يشترك مع الذين لم يصلوا إلى هذا المقام فى العلم بالشريعة والفهم فيها ، ويزيد عليهم بالرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علمه وفهمه وحاله .

فإذا منّ الله عليه بالمحبوبية كما قال سبحانه : (**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**)[٨٩] ، قد كان محباً لله ثم صار محبوباً لله ، وأين المحب من المحبوب ؟ وقال تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى : ((**من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويديه التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه**)) .

وحاشا أن يفهم مسلم محجوب ـ فكيف بعارف متمكن ـ أن ذلك يعنى به حلول أو اتحاد ولا أى وجه مما ينافى التنزيه للبارئ عز وجل (**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**)[٩٠] ، وإنما هو الحفظ والرعاية والتقريب اللائق بالعبد لمن (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**)[٩١] ، مع شهود انفراده تعالى بالتدبير والأحدية المطلقة الشاملة .

((**وإن سألنى لأعطينه**)) حسبك ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**)) ، ومعنى ذلك أن يُفنى الحق مراد العبد فى مراده فلا يحب ولا يتوجه إلا لما سبقت به الإرادة الإلهية ، والإرادة الأزلية مستحيل أن يقع فيها التغيير أو التبديل ، فليس للعبد المحبوب مراد مع مولاه تبارك وتعالى ، فلا مراد له إلا ما أراد تبارك وجهه وعز شأنه .

فإذا آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً ، وكاشفه بعلل النفوس ودوائها وما تحتاجه فى طريق التجريد الروحى المقدس ، وما يلزم من أدب فى حضرة الشهود والمكاشفة مما هو

---

٨٩ ـ سورة عمران ، الآية ٣١ .
٩٠ ـ سورة الصافات ، الآية ١٨٠ .
٩١ ـ سورة الشورى ، الآية ١١ .

جلى لدى العارفين فى الكتاب والسنة ، وإن خفى على من لم يبلغ ما بلغوا من العلم بالله وبكتابه وبرسوله صلى الله عليه وسلم وسنته وبالآداب العالية فى مقعد القرب فى الملكوت الأعلى ، ثم أُمر بالدعوة إلى الله عز وجل من المصطفى صلى الله عليه وسلم كان له إذ ذاك فى الدلالة على الله الإذن العام الذى يشترك فيه مع كل من قام يدعو إلى الله سبحانه وتعالى ممن لم يحصل له هذا المقام ، وله الإذن الخاص مع اليقين الشهودى الذى يختص الله به أهل الاختصاص ، وقد رأى ابن عباس وأم سلمة وجمع من الصحابة جبريل عليه السلام ، ومن الواضح أن إيمان من لم يره عليه السلام إيمان بالغيب ، وإيمان من رآه إيمان بالغيب مع إيمان الشهادة ، ودنت الملائكة لسماع قراءة أسيد بن حضير ورآهم من رآهم ، وكانت تسلم على عمران بن حصين ، وكل هذا فى الصحيح (**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**)[٩٢] ، فإذا دعا إلى الله إذ ذاك فإنما يدعو على بصيرة كاملة وقد قال تعالى : (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**)[٩٣] ، وكل له فى اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم حد ، وأما هو صلى الله عليه وسلم فقد بلغ من اليقين أكمله والعلم أعلاه ، فقد أشهده الحق بعينيه الحقائق ، وجمع له بين العلم والشهود فرأى ما يدعو إليه عياناً ، ورأى النعيم والعذاب ، ورأى القبر وما فيه ، فهو يدعو إلى أمر هو فيه على بينة وبصيرة ، متمكناً فى معرفة الحقيقة معلومة مشهودة فى أعلى مراتب العلم والشهود .

والعبد المحبوب صح له من وراثته صلى الله عليه وسلم الاتباع الجثمانى والروحانى الظاهر ، والباطن العلمى والشهودى الخاص والعام ، وأى اتباع أفضل من ذلك وأكمل ؟ ألا إن هذا هو الاتباع الحق ، الاتباع المقصود .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((**لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله**)) رواه الإمام أحمد والشيخان ، وعند الحاكم من حديث عمر رضى الله عنه : ((**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**)) .

---

٩٢ ـ سورة البقرة ، الآية ١٠٥ .
٩٣ ـ سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

فإن لم يكن هؤلاء منهم فمن ؟ الفقهاء ؟ قد شاركوهم فى فقههم ، المحدثون ؟ قد شاركوهم فى العلم بالسنة ، الأصوليون ؟ شاركوهم فى أصولهم ، المفسرون ؟ عرفوا ما عرفوا ، أهل الكلام ؟ هم سلفيو العقيدة أصحاب سنة ، القراء ؟ شاركوهم فى علم التلاوة ويتلون كتاب الله ويقومون به لله لا لعرض من الدنيا ولا لحظ من حظوظ النفوس .

يفهمون ما يفهم هؤلاء جميعاً ، ويعرفون ما يعرفون ، وزادوا على الجميع باليقين الشهودى والمعاينة وما يتبعها من علم وأدب وهدى محمدى .

هذه هى الطريق ، طريق الله ورسوله نقية بيضاء ليلها كنهارها على بصيرة وهدى من الله ، فمن أنكرها فقد قيل : من جهل شيئاً عاداه .

وإن جادلوك بعد ذلك فقل : سلام ، إن الأمر أوضح من أن يمارى فيه المؤمن (**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**)[٩٤] ، (**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ**)[٩٥] ، (**وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**)[٩٦] .

وإذاً فقد تجلى لك معنى الطريق والمقصود منها وهو الوصول إلى هذه الصحبة الروحية السامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يتحقق العبد بالآداب الإلهية فى حضرة الحق تبارك وتعالى علماً وعملاً وشهوداً ويقوم بها على أكمل وجه ، ولا جدل فى أن صحبة من حصلت له سبيل من سبل الوصول إليها ، وإذاً فمن المحمود شرعاً صحبة مثل هؤلاء الذين صحبوه صلى الله عليه وسلم الصحبة الروحية ، وحبهم ومخالطتهم واتباعهم فيما يطابق الشريعة المطهرة ، فإن فى صحبتهم أسوة عملية ظاهرة ، والصحبة الجثمانية مع الصدق والإخلاص ـ وإن كانت دون الصحبة الروحية ـ موصلة إليها فإلى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولا تظن أن من وصل إلى هذا المقام يعد صحابياً أو يبلغ مرتبة أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم قد صحبوه جسداً وروحاً ، وإن مرتبتهم لا تدرك رضوان الله عليهم ، قال صلى

---

٩٤ ـ سورة آل عمران ، الآية ٧٣ .
٩٥ ـ سورة فاطر ، الآية ٢٢ .
٩٦ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٤ .

الله عليه وسلم : ((**إن الله اختار أصحابى على الثقلين ، سوى النبيين والمرسلين**)) رواه البزار عن جابر ورجاله موثوقون .

ومن الناس من يصل إلى صحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة الروحية أو غيرهم من الصالحين ، وكل ذلك خير تدعو إليه الشريعة المطهرة ، ولكنه ليس فى الخلق أفضل من صحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن تآخى مع أى واحد من هؤلاء الصالحين وتعاهدا على الحب فى الله والنصيحة فيه والتعاون فى سبيل الوصول إليه تبارك وتعالى على الكتاب والسنة فهذا أمر من أشرف الأمور ، وهو مما تحث عليه الشريعة المطهرة ، وليس فى ذلك أى مخالفة للشريعة كما يظن بعض الجهلة ، بل هو عين الشريعة ولب الشريعة ومقصد من مقاصد الشريعة ، وقد قال تعالى : (**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**)[٩٧] ، ولاشك أن أعلى مرتبة فى الاتباع أن يجمع المرء بين الاتباع الظاهر والاتباع الباطن .

فمن وصل إلى هذا المقام عرف آداب الحضرة الإلهية من ينبوعها ، وكان مع الأنبياء والصديقين حقاً لا ستار ولا حجاب ، كشفاً ومعاينةً وشهوداً وتحققاً وتخلقاً ، فتوحيده هو التوحيد وإيمانه هو الإيمان ويقينه هو اليقين ، انقطعت عروق الشك إذ أشرق نور الحق فانقشعت الظلمات وذهبت الأوهام .

وهذه طريق أهل الله عز وجل وخاصته (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**)[٩٨] ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

٩٧ ـ سورة آل عمران ، الآية ٣١ .
٩٨ ـ سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

ولتعلم أن بعض ذوى الأغراض ممن أولع بالاعتراض لهوى فى نفسه وتحريض نفر من ذوى الحقد المهين حرَّفَ كلام أهل الطريق ودلس وحذف بعض الكلام وزاد فيه ما يغير المعنى المراد منه ، وكان لا يتحرج أن يفترى من الكذب ما لا وجود له فى الطريق مطلقاً ، وقد تقدم بيان شئ من ذلك ، وحسبهم بذلك فضيحة بين الخاص والعام .

ومما فعل أن اقتطع من كلام الشيخ رضى الله عنه فقرات وترك من كلامه ما يبين مراده رضى الله عنه منها ، ومنه ما حمله على وجوه لم تخطر على بال أحد من أهل الطريق مطلقاً ، ونحن نعلن أن الطريقة وأهلها لا يقصدون بها ما يزعم أولئك المنكرون ، ولنضرب لك مثلاً من ذلك :

١ ـ زعم ذلك المسكين أن الشيخ رضى الله عنه منع العمل بالطرق وجعلها لا فائدة منها بقوله : " **طريقتنا تنسخ جميع الطرق** " ، وقوله: " **لا تدخل طريق على طريقنا** " ، وقوله : " **طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل طابع عليه** " ، ولا يقصد الشيخ بكلامه ما يزعمون من أن الطرق لا فائدة فيها ، وقد قال رضى الله عنه : " **كل طرق أهل الله على هدى وموصلة إلى الله تبارك وتعالى** " .

فالمراد بالنسخ هنا أمر اصطلاحى وإليك بيانه :

إن أهل الطرق العارفين الكمل من أهل التربية اختلف سيرهم وتربيتهم والكل على هدى ونور وبينة من ربهم ، فمنهم من سلك بطريق الخلوة وربى بها ، ومنهم من سلك بطريق الجلوة لا بالخلوة ، ومنهم من سلك بطريق الذكر السرى ، ومنهم من سلك بطريق الذكر الجهرى ، ومنهم من اشتغل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى وصل ، وهذه هى أصول الطرق ، ومن استقرأ طرق السادة الصوفية رضوان الله تعالى عليهم يرى أن كل طريق اختارت سبيلاً خاصة من هذه السبل ، ولما كان الشيخ رضى الله تعالى عنه سلك بكل تلك الطرق وانتهى فيها وأُذن له بالتربية بها ثم تلقى جميع شؤونها من الحضرة المحمدية ، وسلك أيضاً طريق الوصول بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من غير شيخ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((**من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشراً**)) وهو فى الصحاح ، وعن عبد الله بن عمرو

رضى الله عنهما : " من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله تعالى عليه وملائكته بها سبعين صلاة " رواه الإمام أحمد وغيره وله حكم الرفع .

وقال تبارك وتعالى : (**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**)[٩٩] ، فمن صلى على النبى صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وملائكته ، ومن صلى الله عليه وملائكته أخرجه الله من الظلمات إلى النور ، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، ومن ظلمات الحجاب إلى نور الفتح ، ومازال حتى اجتمع به صلى الله عليه وسلم الاجتماع المعروف عند الأولياء والذى ذكره الكمل منهم ، ولا عبرة بإنكار ذلك ممن لم يبلغ مقامهم ، وما جاءوا به من الاعتراضات على هذا المقام مردود ، فقد بين المحققون قصور فهمهم فى ذلك فلا تعويل عليه بحال إذ لا خلاف فى إمكان ذلك الاجتماع ، ولم يرد نص فى الشريعة بأن القدرة لم تتعلق به ، وقد أخبر به العدول الثقات ، على أن الخصوم مسلمون بصحة هذا الاجتماع فى النوم والأخذ بما يطابق الشريعة المطهرة مما يُتلقى فيه ، وهذا الذى يقول به من أثبت رؤية اليقظة ، وإذاً فلا خلاف فى جوهر الموضوع إذ المؤدى واحد مادام الاحتكام والمرجع لا يكون إلا إلى الشريعة الظاهرة .

فهو رضى الله عنه سلك بنفسه جميع الطرق ، وطريقته جامعة لما فيها من شؤون ومقاصد وأذواق وأحوال ومقامات وأسماء ومسميات ومعارف وتخلقات وتحققات إلى آخر ما هو من السير إلى الله عز وجل والوصول إلى حضرته .

فمن كان فى مشرب من تلك المشارب وانتهى منه وأراد سلوك مشرب آخر فيمكنه أن يجده فى طريقنا ، ومن انتهى فى طريق الخلوة ويريد السلوك بلا خلوة فلدينا التربية بلا خلوة ، ومن انتهى فى طريق الذكر السرى ويريد التربية بالذكر الجهرى فلدينا التربية بذلك ، وكذلك كل وجوه التربية عند أهل الله تبارك وتعالى رضوان الله عليهم ، ومن كان فى مشرب ولم ينته منه كمشرب التربية بالذكر الجهرى مثلاً فإنه لا يكمل سيره على يد شيخ فى طريق تربى بالذكر السرى ولكنه يمكنه أن يكمل سيره فى طريقنا الجامعة لمشربه ومشرب غيره ، ورأينا بعض الأشياخ رضوان الله عليهم يسيرون بالمريدين إلى آخر سيرهم ويلقنونهم من الأذكار والأسماء

---

٩٩ ـ سورة الأحزاب ، الآية ٤٣ .

ما ذكروا ثم يحيلونهم على غيرهم فيما لم يذكروه لأنهم أمناء فى سيرهم إلى الله وحظ النفوس بعيد عنهم ، ألا ولنعلم أن انتقال المريد من شيخ إلى شيخ عند أهل الطريق السالكين العارفين إنما يكون بإذن أشياخه ومعرفتهم ورضاهم .

وقد يُصحب ذلك بالإذن الباطنى ـ وقد تقدم تفصيله ـ من الحضرة المحمدية ، ومن ذلك ما حدثنى به الحجة الأمين سيدى إبراهيم بن مولانا القطب الكبير سيدنا السيد محمد بن المختار أحد أعيان الخاصة من خلفاء هذه الطريقة المشرفة وهو الذى نشر الطريق بالسودان رضى الله عنه ، كما حدثنى غيره من الثقات أن الولى الكبير الشيخ طاهر الحيمادى المدفون بأم درمان خدم العارف الكامل سيدى أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية عشرين سنة ثم قال له : فتحك على يد رجل شريف من شنقيط تجتمع به فى الموضع الفلانى ، فرحل إلى ذلك الموضع ، فبينما هو ينزل متاعه وإذا بالسيد سيدى ابن المختار يناديه : يا شيخ طاهر يا حيمادى هأنذا الذى أخبرك به سيدى أحمد بن إدريس ، فأخذ عنه وفُتح له بصحبته رضى الله عن الجميع .

وبذلك قد تبين لك أن كلامه رضى الله عنه لا يراد به أن طرق أهل الله باطلة أو لا فائدة فيها ، وإن حُمل كلامه على ذلك الوجه خطأ ، وأن معنى كلامه أن أهل التربية بالذكر السرى مثلاً إن أرادوا أن يضموا إليه التربية بالذكر الجهرى أتموا ذلك فى طريق أخرى واحتاجوا إلى مشرب آخر ، أما طريقتنا فمن أتم السلوك بأى سبيل وأراد السلوك بسبيل أخرى من التربية فلا يحتاج إلى الانتقال إلى طريقة أخرى ففيها جميع المشارب بالإذن المحمدى الخاص ، ولا يعبأ بمن أنكر ذلك ، فإن أى ولى من الأولياء لو ادعى هذا لسلم له المنصفون ولما كان هناك أى مانع عقلى أو شرعى أن يختصه الله بذلك ، والفضل الإلهى يتسع لذلك كله وأكثر منه والله ذو الفضل العظيم .

٢ ـ ومن ذلك أن ذاك المنكر زعم أن كلام الشيخ فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفضل الأذكار يُقصد به إبطال التعبد بالقرآن .

وهذا من المضحكات فإن الشيخ وأصحابه من أكثر الأمة المحمدية اشتغالاً بالقرآن ، وكلامه رضى الله عنه صريح فى الحث على التأدب بالأدب الكامل فى تلاوة القرآن ، فهو يقول إن من

لم يحسن آداب تلاوة كلام الله عز وجل عليه أن يكثر من الذكر والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك يُنتج له من التقوى والنور ما يؤهله لأن يكون ممن يتلون كتاب الله حق تلاوته ، لا من يقرأ القرآن والقرآن يلعنه ، فهل من يعظم القرآن ويحض الناس على تلاوته بالأدب الكامل يريد إبطال التعبد به ؟ وقد حدد رضى الله عنه لأصحابه جزءاً من القرآن فى كل يوم على الأقل ، فهل هذا يبطل التعبد بالقرآن ؟ اللهم فاشهد .

٣ ـ ومن ذلك زعمه أن أهل الطريق يفضلون الجوهرة على القرآن والصلاة لأنهم لا يقرأونها بالتيمم ، وعلى ذلك تكون الطهارة الكافية للصلاة لا تكفى لها فى زعمه .

وحاشا أن يقول أحد من أهل الطريق بشئ من ذلك ، وحقيقة ما فى الطريق أمر آخر غير ما زعموا ، وهو أن رجلاً نذر على نفسه أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عدداً من الصلوات على طهارة كاملة متوضئاً طاهر البدن والثوب فى مكان طاهر رحب إن تيسر له ذلك ، فالذى يلزمه أن يفى بنذره ويقرأ ما التزمه بتلك الحال إن توفرت له ، فإن لم يتوفر له ما اشترط من الطهارة فقد سقطت عنه القراءة ولا يلزم بشئ من ذلك ، وليس معنى هذا أنه لا يجوز له أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم متيمماً أو خالياً من الوضوء والتيمم ، فإن ذلك جائز فله أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم ماشاء كيف شاء ويثاب عليه بغير شك ولكنه يكون تطوعاً لا يلزم به فما يقرأ إذ ذاك هو عبادة أخرى غير المنذور الذى نذره .

فأين هذا مما يزعم المبطلون ؟ ولا شك أن الطهارة فى الذكر مندوب فى سائر المذاهب فمن تحراها فى ذكره فهو مثاب على ذلك .

٤ ـ ومن ذلك اعتراض المنكر على قول الشيخ رضى الله عنه : " **من أخذ وردنا هذا وتركه تركاً كلياً أو تهاون به تحل به عقوبة ويأتيه الهلاك** " .

وما هو الورد ؟ الاستغفار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا إله إلا الله ، وقد نذر المريد على نفسه ذلك كل يوم بشرط عدم العذر صباحاً ومساءً ليدخل فيمن قال الله تعالى فيهم : (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**)[١٠٠] ، فماذا يقول أولئك السادة الذين يزعمون الغيرة على الدين والمعرفة فى الفقه فيمن نذر قدراً يسيراً من

---

١٠٠ ـ سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة ولا إلـه إلا الله ، ثـم تركـه مـن غير عذر ؟ وقد ذكر العلماء وجوب الوفاء بالمندوب المنذور وأن تركـه إثـم ، وقـال صـلى الله عليه وسلم : ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه**)) وهو فى الصحيح ، وقـال : ((**ثـم إن بعـدكم قوماً يـشهدون ولا يستـشهدون ، ويخونـون ولا يؤتمنـون ، وينـذرون ولا يفـون ويظهـر فـيهم السمن**)) رواه البخارى .

أفعلينا شئ إن قلنا إنه بعدم الوفاء لله بما عاهده عليه من الطاعـة قـد عـرض نفـسه للعقوبـة الإلهية ؟ وأى بلاء أكثر من ذلك ! أما العلم فيقول بما نقول ، فليقل من شاء ماشـاء فكلامـه لا يؤبه له بعد قيام الحجة .

٥ ـ وأما ما زعموا من أنه رضى الله عنه انتقص بعض المشهورين بالصلاح والولاية .

فقد سألت عن ذلك بعض الأئمة فى هذه الطريقة فقال : إن كـلام الـشيخ مجمـل ولا يريـد هؤلاء الذين اشتهروا بالولاية ، بل كان رضى الله عنه يأمر باحترام الأوليـاء وتعظـيمهم أحيـاءً وأمواتاً وأن من أبغضهم أو أهانهم أذله الله عز وجل وقد تتشابه الأسماء ، وقد صرح لى رضى الله عنه أن ما يُنسب إلى الشيخ من الطعن فيهم لا يصح عنـه رضـى الله عنـه وإنمـا يريـد قومـاً تركوا الشريعة ويستحلون ما حرم الله عز وجل .

وما قولك فى رجل يترك الصلاة جهاراً ويشرب الخمر وهو فى عقله واجتمـع النـاس عليـه وادعى الولاية ويسمى نفسه أبا يزيد والآخر التسترى وهكذا ؟ ولم يكتف بذلك بل صرح بـأن الشريعة قيد وسجن للناقصين فإذا وصلوا إلى اليقين الذى يدعيه سقط عنهم التكليـف ، وأبـاح ترك الواجبات وفعل المحرمات لأتباعه ، وقد رأينا بعض من يزعمـون ذلـك فكـانوا يـستحلون ترك الصلاة أمام أعيننا ويفطرون فى رمضان بلا عذر ويزعمون الوصول .

فالحال العملى بالشريعة مفقود منهم مع تـصريحهم بحـل ذلـك ، فهـل يُـسلم لهـؤلاء ؟ كـلا والله ، وأمثال هؤلاء هم الذين يعنيهم الشيخ رضى الله عنه بقوله ، هم حزب الـشيطان الـذين استحوذ عليهم الشيطان والعياذ بالله .

٦ ـ وأما زعمه أن الشيخ رضى الله عنه يريد أن يترك الناس السلف ويتمسكوا بالخلف فى قوله : " **إن من أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام من تقدم من الأولياء الأموات طُبع عليه بطابع الحرمان** " .

فهذا غير صحيح ، وإنما يريد رضى الله عنه أن لا ينظروا بعين الاحتقار إلى الصالحين فى عصرهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((**مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره**)) رواه الإمام أحمد والترمذى عن أنس وحسنه وله طرق ، وصححه ابن حبان من حديث عمار ، وإنما مراده أن نتمسك بالخير كله فى السلف والخلف وأن لا نرد ما يسوقه الله من الخير فإنه هو مانحه فى أى عصر من العصور ، ولم يقل أبداً أعرضوا عن صالحى السلف ولا تتبعوهم بل هو يأمر بمحبة الكل ، فأين من هذا ما يزعم المبطلون !

٧ ـ وأما زعمه أن تلميذه ادعى أنه أخذ شعراً عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فالشعر هو الكلام الموزون المقفى والكلام الذى ذكر عنه فى **الجواهر** لا ينطبق على ميزان الشعر فهو سجع لا شعر .

٨ ـ وأما اعتراضه على قوله رضى الله عنه : " **شفعنى الله فى أهل عصرى** " .

فما قولهم فى رجل سأل الله المغفرة له وللمؤمنين والمؤمنات من أهل عصره ، هل عليه شئ فى ذلك يا أهل العلم والإيمان ؟ اللهم كلا ، وهل يصح أن يستجاب له ؟ قولوا لهم : إن العلم يقول : إن ذلك يصح ، وأى شئ إذا ألهمه الله ــ والإلهام للأولياء حق وثابت ــ أن الله قد استجاب له ، فأخبر بأن الله استجاب دعوته ببركة اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لا أنه أفضل منهم فذلك غير معقول .

وقد قال تعالى : (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**)[١٠١] لا فخراً ولا رياءً ، أعليه شئ فى ذلك ؟ الجواب كلا ، ولعل بعض المتنطعين يقول : إن ذلك يؤدى بالناس إلى الأمن من مكر الله عز وجل ، وجواب ذلك كلا ، لأن هذا إنما يكون لمن هو عند الله فى الأزل مؤمن ، ومن لم يمت على الإيمان فهو غير مراد بذلك وعاقبة المرء مجهولة لا يملكها ، ومدار هذه الطريق على عدم الأمن من مكر الله تعالى .

---

١٠١ ـ سورة الضحى ، الآية ١١ .

وهذه بشارات لا يتكل عليها ومن اتكل عليها فهو هالك ، قال رضى الله عنه : " **كل ما قلته لكم حق واقع إن سلمنا من مكر الله عز وجل** " ، والمسألة حسن ظن ، وقد قال تعالى فى الحديث القدسى : ((**أنا عند ظن عبدى بى**)) .

٩ ـ ومن الأكاذيب التى يُتهم بها أهل الطريق ما يزعم خصومهم أنهم يقولون إن كل الطرق باطلة إلا الطريقة التجانية .

مع أن الشيخ رضى الله عنه يقول : " **إن طرق أهل الله كلها على هدى** " .

١٠ ـ وما يزعمون أننا نحرم زيارة الأولياء .

وهذا كذب ، وإنما نقول كما قال المحققون من أهل التربية فى سائر الطرق : إن من اجتمع بشيخ التربية الكامل فلا يحتاج لغيره ، فأى دخل لهذا فى التحريم !

١١ ـ ومن الكذب ما زعموا أن الإزار يُنشر فى الوظيفة ليجلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

مع أنه قد بين فى الطريق أن الغرض تباعد أنفاس الذاكر عن موضع النجاسة ، وأن حضوره صلى الله عليه وسلم لمجالس الذكر حضور ملكوتى لا يحتاج إلى ما تحتاجه الأجساد .

١٢ ـ ومن الكذب ما زعموا أن أهل الطريق يعتقدون أن الشيخ رضى الله عنه لا ولى بعده .

وقد وضح علماء الطريق أن المراد بالختمية مرتبة خاصة فى الولاية ذكرها جمع من العارفين ويصح أن يكون بعده أولياء ، بل يوجد بالفعل فى سائر الأمة المحمدية ولا يختص ذلك بطائفة معينة .

١٣ ـ وأما الكلام فى معية الحق تبارك وتعالى لعباده .

فقد ذكر رضى الله عنه أن معية الحق عز وجل لا يدرك كنهها ، فكما أن الذات العلية لا يدرك كنهها فكل أوصافها كذلك ، فالحق تبارك وتعالى مع كل شئ معية ذاتية ، وفوق كل شئ فوقية ذاتية ، وحيث إن الحق منزه عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شئ فمعيته كذلك منزهة لا يلزم فيها ما يلزم فى معية الحادث وذلك المصرح به فى **الجواهر** فراجعه إن شئت ، فكلام الخصوم دل على عدم الأمانة لأنهم لم يتقوا الله فى النقل ، وقد ذكر رضى الله عنه أن القائلين بأن الله عز وجل معيته لخلقه معية العلم فحسب وقعوا فيما فروا منه وهو أن الله عز وجل فى جهة ،

وهو تبارك وتعالى منزه عن الأمرين معاً الحلول فى الكون والجهة ، وحيث إن ذاته منزهة عن الجسمية ولوازم الجسمية فلا داعى لهذه الأوهام ، فإن من هو منزه عن الحدوث والجسمية إنما تكون صفاته بما يناسب ذلك التنزيه من السمو والتقديس عن الشبه لا ما تتخيله العقول .

قولوا لنا بربكم أى توحيد وتنزيه أصفى من ذلك وأخلص ! ألا حسبنا الله ونعم الوكيل .

١٤ ـ وما ذكر بعضهم أنه يعتبر من التشريع الحادث قول القائل : إن بعض ما يتلقى الأولياء عن الحق فى النوم بالخطاب أو الكتاب يصح أن يُنسب إلى الله عز وجل فيقال فيه كلام الله .

فاعتبارهم ذلك تشريعاً حادثاً فيه نظر ، فإنه لا معنى فيه للتشريع فليس فيه إحداث حكم بوجوب ولا ندب ، وإنما هى مناقب لم تمنع الشريعة وقوعها من شاء صدقها ومن شاء لم يصدقها ، وهى داخلة فى باب الإمكان العقلى الذى لم يرد الشرع بمنع وقوعه ولم يجبر أحد الناس على التصديق به .

والذى قام الدليل الشرعى على منعه دعوى رؤية الله عز وجل فى الدنيا فى اليقظة لقوله صلى الله عليه وسلم : ((**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**)) رواه مسلم فى الصحيح ، وقد قال محققو العلماء بجواز رؤيته تعالى فى النوم كالقاضى عياض والحافظ ابن حجر وغيرهما ، وجائز كذلك خطابه بغير ما هو خاص بالأنبياء ، نعم قد يأتى الشيطان فيدعى للمرء أن الله سبحانه يخاطبه ، ولكن كلامنا فى الرؤيا الصحيحة التى لم يدخلها الشيطان وقد نقل العلماء وقوع ذلك لبعض الصالحين وأن الله عز وجل قد خاطبهم مسلمين لهم فى ذلك ، فهل على من صدق أولئك الصادقين من حرج ؟ اللهم كلا.

لقد بحثنا فيما نُقل عن الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه فلم نجد لا فى **الجواهر** ولا فى **الجامع** ولا فى **الإفادة** أنه قال إنها من كلام الله القديم كما ادعى بعضهم ، فلفظ قديم لا يوجد فيما نُسب إليه ، وقد شُبهت بالحديث القدسى فى الجامع والحديث القدسى نسبته إلى الله عز وجل معروفة شرحها العلماء فى كتب التوحيد ، وذكروا الفرق بينه وبين القرآن .

وفى **الجواهر** أنه سُئل رضى الله عنه عن المكالمة للعارفين فقال : " **وأما المكالمة المعلومة للعارفين فإنه يخلق فيهم كلامه فى الروح إذا صارت خفاء أو أخفى أو سراً أو غير ذلك من المراتب ، يخلق فى ذلك المعنى كلاماً يعنى فى الروح لا يشك أنه من الله تعالى فنسبة ذلك**

الكلام إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث ونسبة المخلوق إلى الخالق لا نسبة الكلام إلى المتكلم ، وينسب الكلام إلى الله تعالى فى هذا المحل لكون ذلك المحل فى ذلك الوقت لا يتطرق إليه غلط ولا تخمين ولا فساد ولا غيره من وجوه الخطأ لأن الروح فى هذا المحل يسمى البيت المحرم لكونه حرم على غير الحق دخوله " .

ومخاطبة الحق لإبليس ثابتة لا شك فيها ويصح أن يخاطبه الآن وأن يكون خطابه من الكلام القديم ، ومن أجاز ذلك لمثل إبليس ومنعه عن مؤمن من المؤمنين ـ وكلامنا فى غير الوحى الخاص بالأنبياء ـ فهو محتاج لطبيب ، فالخصوصية فى كلام الله للأنبياء أنه خاص لا يتأتى لغيرهم ، وقد يخاطب تبارك وتعالى غيرهم بغير تكليف لهم أو إنشاء حكم جديد أو ما هو من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا يوجد فى الشريعة ما يمنع ذلك لا فى الكتاب ولا فى السنة ، بل يوجد ما يؤيد ما صرنا إليه ، وعلى أى حال فإنه يجب على المؤمن أن يرجع إلى الدليل متى وضح له .

وقد تقدم فى صحيفة ثلاثين ما نقل العلامة الشاطبى عن أبى يزيد البسطامى ، وما نقل الشيخ تقى الدين ابن تيمية عن عطاء السلمى من مخاطبة الحق لهم ، وما ذكره صاحب الفضيلة الشيخ محمد مخلوف العدوى من أوراد شيخه العارف الكامل الشيخ أبى شرقاوى رضى الله عنه منسوباً للحضرة الإلهية ولم يروا حرجاً فى نسبته إلى الحق عز وجل ، ولا يخطر ببال أحد أن ذلك من باب وحى النبوة فقد انقطع وليس هذا منه فإنما يدخل فى المبشرات التى صح بها الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، والتبشير والتحذير والدلالة على التمسك بالكتاب والسنة وكل ذلك من شرعه صلى الله عليه وسلم ، أما الدعاء فقد أطلق لنا فيه الشارع كما تقدم فلا يعد هذا تشريعاً جديداً وإنما هو شرعه الشريف صلى الله عليه وسلم ، وكل ما وزن بالشرع فرده فهو مردود .

١٥ ـ وأما ما زعم بعضهم من أن **جواهر المعانى** مسروق من المقصد الأحمد .

فقد راجعنا الكتابين فألفينا أن سيدى الحاج على حرازم أخذ من المقصد الأحمد القسم الذى وصف به سيدى العارف بالله أبو العباس مولاى أحمد بن عبد الله معن رضى الله عنه مما ينطبق على كمل العارفين رضوان الله عليهم ، ومن العلماء من لا يرى حرجاً فى نقل الكلام المحرر

الذى يستحسنونه فيما يرون انطباقه عليه ، وانظر شرح الأبى والسنوسى على مسلم مثلاً وغيره من الكتب تر النقل سطراً بسطر ، والمهم فى **الجواهر** إنما هو أجوبة الشيخ التفسيرية والحديثية والرسائل الخصوصية والعمومية وليس ذلك فى المقصد الأحمد ، وعلى هذا فالقول بأن **جواهر المعانى** مسروق قول فيه تدليس لأنه أُلف لنقل كلام الشيخ رضى الله عنه وكلامه لم يؤخذ من المقصد الأحمد .

أما الكلام عن أحواله رضى الله عنه ، كما يُعلم من اسمه فحيث إن أحوال العارفين تتشابه وكثيراً ما تتطابق فاستحسن سيدى الحاج على حرازم أن يعبر عنها بكلام جيد كتب فى حال عارف تشبه حاله حال شيخنا رضى الله عنه ، وليس كلام سيدى الحاج على حرازم بمنسوب للشيخ رضى الله عنه ، وكان سيدى الحاج على حرازم لا يرى حرجاً فى هذا النقل ولم يرد به انتحالاً ولا سرقة ، وحاشاه من ذلك رضى الله تعالى عنه .

١٦ ـ وأما دعوى إجماع قوم على مناوأة الطريقة التجانية .

فهو حديث خرافة ، فإن خصوم الطريقة ادعوا أننا نعتقد عقائد زعموها ونقلوا من كلام الشيخ ما يوهمها ، ودلسوا من كلام الشيخ ما يحول دون زعمهم ، واخترعوا من رؤوسهم ما لا وجود له فى كتب الطريقة ، وتلك العقائد الضالة التى زعموها نحن لا نعتقدها ، والكلام الذى يوهمها نحن نؤوله ونحرم حمله على تلك العقائد ، وما لا يمكن تأويله بمقبول فنقطع بأنه مكذوب على الشيخ رضى الله عنه وقد تبرأ منه فى حياته ، ونحن أيضاً مجمعون مع من أجمع على أن من اعتقد تلك الضلالات ككون صلاة الفاتح من القرآن أو أفضل من القرآن أو تساويه أو آية منه فى الفضل ، أو أن الشريعة يزاد شئ عليها أو ينسخ شئ منها ، أو أن غير الأنبياء تجب لهم العصمة ، أو أن أحداً له مع الله تصرفاً فى الوجود أو من دونه ، إلى آخر ما ذكروه فهو خارج عن الكتاب والسنة ونحن برءاء منه .

ولنجمل القول بأن خلاصة الطريق العمل بالكتاب والسنة ، وأن كل ما يتلقاه العارفون مرجعه إلى الكتاب والسنة ، ويحرم العمل بما خالفهما بما ينسب إلى أى شيخ من المشايخ وقد أمروا بذلك .

الفرية على دار الشيخ رضى الله عنه

أما دعوى أن دار الشيخ كان بينها وبين فرنسا علاقة وموالاة فى أى زمن من الأزمان فدعوى كاذبة لا سند لها فى التاريخ ، وإليك الحقيقة كما يقرها التاريخ الصحيح الذى دونه الذين حاربوا دار الشيخ بأنفسهم ولقد كانوا خصوماً شرفاء لم يكذبوا ولم يدلسوا فى التاريخ .

فأما الشيخ سيدى أحمد التجانى فقد انتقل من الجزائر إلى فاس بالمغرب الأقصى فى سنة ١٢٠٣ هـ قبل أن ينشأ الخلاف الذى كان سبباً فى مجئ فرنسا إلى الجزائر بأربعين سنة .

أما ولده سيدى محمد الكبير فقد عاد إلى الجزائر بعد وفاة والده بمدة ، وكان معارضاً لحكم أتراك الجزائر الذين كانوا فى غاية الاستبداد وكان حكمهم كله طغياناً ، ونظرة واحدة تُلقى على تاريخهم تفصح عما كانوا يرتكبون من سفك للدماء ونهب للأموال واغتيال بعضهم بعضاً ، فكانت حكوماتهم المتعددة فوضى كحال المماليك فى مصر سواء بسواء ، ثار هذا السيد على بعض تلك الحكومات بعد أن صدوه عن الحج إلى بيت الله الحرام ، وقُتل رحمه الله شهيد الغيرة على الدين وشعائر الله عز وجل ، وكان شعاره الكتاب والسنة والعدالة ، وإنما حاربهم فى الله ، وكل ذلك قبل أن تأتى فرنسا إلى الجزائر أو يحدث ما سبب مجيئها .

وأما سيدى محمد الحبيب وهو الذى وقع الخلاف بينه وبين الأمير عبد القادر رحمهما الله تعالى ، فبعد أن قتل أخوه سيدى محمد الكبير فى معارضة أولئك القوم لظلمهم وبغيهم وتقديمهم قوانينهم على الشرع ، استقر سيدى محمد الحبيب فى عين ماضى وسالم الحكومة وسالموه ، وتركوا عين ماضى لا يأخذون منها عشراً ولا يتعرضون لأهلها .

فلما حاربت فرنسا الجزائر بايع الناس الأمير عبد القادر على الجهاد فى الله ومضوا فى الجهاد ، وكان أهل الطريقة التجانية يجاهدون تحت لواء الأمير عبد القادر ، وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين فرنسا .

وفى أول محرم سنة ١٢٥٤ هجرية اتفق الأمير عبد القادر مع الفرنسيين على عقد معاهدة ، ووقعت الهدنة بالفعل وأطلقت الأسرى وترك الحصار ، وأخذ الأمير عبد القادر يوجه نوابه إلى داخل البلاد يوطد سلطانه فيها وينظم أحوالها ، فلما وصلت رسله إلى عين ماضى طلب سيدى

محمد أن تبقى عين ماضى على الحالة التى كانت عليها والتى أقرتها الحكومات السابقة ، وقال : " إننا لم نتأخر عن الجهاد فى سبيل الله لا بنفس ولا مال " ، وعين ماضى بلدة فى كبد الصحراء ، ولم يكن هناك أى علاقة بين بيت الشيخ وفرنسا بل هم مشهورون بالعداوة لهم أكثر من أى طائفة أخرى .

ثم تم تحرير معاهدة تافنا بعد الهدنة بين الأمير عبد القادر وفرنسا فى ٦ ربيع أول سنة ١٢٥٤هـ ـ أول يونية سنة ١٨٣٨م .

وفى يوم ٢٨ ربيع الأول وصل الأمير عبد القادر إلى عين ماضى وأبى إلا أن يدخلوا تحت نفوذه الفعلى ، فأبى أهلها ودخلوا الحصن وأغلقوا البلد عليهم ، فهاجمهم الأمير عبد القادر فدافعوا عن أنفسهم ، حتى دخل بين الفريقين من سعى للصلح واتفقوا على أن يرجع الأمير عبد القادر ثمانية أميال عن المدينة وأن يترك سيدى محمد الحبيب عين ماضى ويرحل إلى أى الجهات يشاء وله الحرية هو ومن معه أن يعيشوا حيث شاءوا ، ولم يكن هنالك أى دخل لفرنسا ولا أى علاقة لها فى هذا الخلاف ، ولم يذكر أحد من المؤرخين أن دار الشيخ كان بينها وبين فرنسا أى علاقة ، وإنما هو خلاف فى الرأى ، ولم يكن إذ ذاك حرب بين الأمير عبد القادر وفرنسا بل كانت هناك محالفة ، وكانت معاهدة تافنا قد وقعت بينهم بالفعل وحددت فيها البلاد التى اعترف الأمير عبد القادر للفرنسيين بحق امتلاكها والبلاد التى اعترف الفرنسيون للأمير عبد القادر بها كذلك .

وهاك نص المعاهدة[١٠٢] :

الشرط الأول : أن الأمير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينتى الجزائر ووهران .

الشرط الثانى : يبقى لفرنسا فى إقليم وهران مستغانم ومزغران وأراضيهما ووهران وارزيو وأراضيهما يحدد ذلك شرقاً نهر المقطع والبحيرة الذى يخرج منها جنوباً بخط ممتد من البحيرة المذكورة ليمر على الشط الجارى إلى الوادى المالح على مجرى نهر سيدى سعيد ومن هذا النهر إلى البحر بحيث يصير كل ما فى ضمن هذه الدائرة من الأراضى للفرنساوية ، وفى إقليم الجزائر مدينة الجزائر مع الساحل وأرض متيجة يحد ذلك شرقاً وادى القدرة وما فوقه وجنوباً رأس

١٠٢ ـ كتاب تحفة الزائر ، صحيفة ١٧٧ .

الجبل الأول من الأطلس الصغير إلى نهر الشفه مع البليدة وأراضيها وغرباً نهر الشفه إلى كوع مزغران ومن ثم بخط مستقيم إلى البحر فيكون ضمنه القليعة مع أراضيها بحيث يصير كل ما فى داخل هذه الدائرة من الأراضى للفرنساوية .

الشرط الثالث : على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم تيطرى والقسم الذى لم يدخل فى حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين فى الشرط الثانى ، ولا يسوغ للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من أرض الجزائر .

الشرط الرابع : ليس للأمير حكم ولا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا ويباح للفرنسويين أن يسكنوا فى مملكة الأمير كما أنه يباح للمسلمين أن يستوطنوا فى البلاد التابعة لفرنسا .

الشرط الخامس : أن العرب الساكنة فى أراضى الفرنسوية تمارس ديانتها بحرية تامة ولهم أن يبنوا جوامع بحسب مرتبهم الدينى تحت رئاسة علماء دينهم الإسلامى .

الشرط السادس : على الأمير أن يدفع للعساكر الفرنسوية ثلاثين ألف كيلة من الحنطة ومثلها من الشعير بمكيال وهران وخمسة آلاف رأس بقر ، يؤدى ذلك كله فى مدينة وهران على ثلاثة قسوط ، الأول من غرة أغسطس إلى الخامس عشر أيلول سنة سبع وثلاثين ثمانمائة وألف والقسطين الآخرين يدفع بانتهاء كل شهرين قسطاً .

الشرط السابع : يسوغ للأمير أن يشترى من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الأسلحة .

الشرط الثامن : أن الكراغلة[١٠٣] الذين يريدون أن يقيموا فى تلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية لهم أن يتمتعوا بأملاكهم بكمال الحرية ويعاملون معاملة الحضر والذين يريدون منهم الانتقال إلى الأراضى الفرنسوية تكون لهم الرخصة على بيع أملاكهم أو إيجارها بكل حرية .

---

١٠٣ ـ سكان البلاد من الأتراك .

الشرط التاسع : على فرنسا أن تتخلى للأمير عن اسكلة رشكوان ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع القديمة التى كانت فيها قديماً ، ويتعهد الأمير بنقل الذخائر الحربية والأمتعة العسكرية التى للعساكر الفرنسية فى تلمسان إلى وهران .

الشرط العاشر : المتجر يكون حراً بين العرب والفرنساوية وللجميع أن يتمتعوا بالتبادل فى كل من الأرضين .

الشرط الحادى عشر : تكرم الفرنسوية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسوية وكل ما تملكته أو تتملكه الفرنسوية من الأملاك فى بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلزم الأمير أن يدفع لهم الضرر الذى تحدثه النوائب فيها .

الشرط الثانى عشر : يكون رد المجرمين من الطرفين بالتبادل .

الشرط الثالث عشر : يتعهد الأمير بأن لا يعطى أحداً من الدول الأجنبية قسماً من الشاطئ إلا برخصة من فرنسا .

الشرط الرابع عشر : لا يسوغ بيع من محصولات أو لوازم الإقليم ولا شراء إلا فى الأسواق الفرنسوية .

الشرط الخامس عشر : لدولة فرنسا أن تعين فى المدن التى فى مملكة الأمير وكلاء ينظرون فى أشغال الرعايا الفرنسوية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب ، وكذلك للأمير أن يضع وكلاء من طرفه فى المدن التى تحت إدارة دولة فرنسا .

حرر فى تافنا فى السادس من ربيع الأول سنة أربع وخمسين ومائتين وأول يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وحرر صك المعاهدة نسختين كل منهما على شطرين عربى وفرنساوى ، فكتب الأمير اسمه بخطه على الشطر العربى وختم عليه بخاتم الإمارة وكتب الجنرال بيجو اسمه بخطه على الشطر الفرنساوى وختمه بخاتمه الرسمى ، وأخذ كل منهما نسخة .

فهل يجوز لمن يحترم نفسه أن يفترى على التاريخ فيزعم أن سيدى محمد الحبيب كان يصوب الخنجر ليضرب الأمير عبد القادر فى ظهره وهو يناهض فرنسا ؟ وأين هى المناهضة أيها الأمراء على التاريخ الذين يزعمون الشرف العلمى والغيرة ؟ وأين الخنجر والقوم يحاربون تحت لوائه رحمه الله تعالى ؟ ولم يذكر أى مؤرخ أن التجانيين تأخروا عن الجهاد بأموالهم

وأنفسهم مع الأمير حتى بعد أن قاتلهم ، والأمير عبد القادر رحمه الله تعالى هو الذى هاجمهم ولم يرفعوا فى وجهه سلاحاً وإنما دافعوا عن أنفسهم .

وقد دون سيدى محمد بن الأمير عبد القادر تلك الوقائع ، وبين الخلاف فى تحفة الزائر ـ وقد ذكر أنه كان يراجع فيه والده رضى الله عنه ـ ولم يذكر أن فرنسا كان لها أى دخل فى ذلك الخلاف ولا لسيدى محمد الحبيب أى صلة بها ، ولا ذكر الأمير عبد القادر نفسه شيئاً من تلك التهمة الكاذبة فى خطابه الذى نشره بعض القوم من غير أن يشرحوا الملابسات التى اكتنفت تلك القضية ليلقوا فى روع الناس تلك التهمة التى افتراها المفترون وانخدعوا بها إن كانوا مخلصين ، ويا لها من فرية ! سيدى محمد الحبيب الرجل العابد الصالح يكون بينه وبين الكفار علاقة ؟ معاذ الله ، إن يقولون إلا كذباً ، وعاش سيدى محمد الحبيب ومات لم ير بعينه فرنسياً ولم يكن بينه وبين الفرنسيين أى صلة ، وهل يستطيع أحد من أولئك القوم أن يأتينا بأثارة من علم من التاريخ بذلك الزعم ؟ كلا !

وقال سيدى محمد بن الأمير عبد القادر فى التعريف بسيدى محمد الحبيب بصحيفة ١٩٧:

"وأصل التجانى من أشراف المغرب" وقال فى والده : ـ شيخنا رضى الله عنه ـ "وكان عالماً زاهداً مشتهراً بالصلاح وقصده الناس للتبرك به " انتهى .

أما ولده سيدى أحمد عمار ـ وهو الذى تزوج السيدة أوريلى الفرنسية ـ فقد ثار فى وجه فرنسا فاعتقلوه فى مدينة الجزائر سنة وحالوا بينه وبين تلاميذه لا يتصل بهم ولا يتصلون به ، ثم قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وألمانيا ولم تخش فرنسا أحداً فى بلاد الجزائر كلها إلا ذلك الرجل فأبعدته إلى فرنسا ، ثم خشيت أن يقوم أخوه سيدى محمد البشير بالثورة فألحقته بأخيه وبقيا طول الحرب السبعينية معتقلين فى فرنسا ، أما زواجه بامرأة أفرنسية فليس ذلك بحرام فى الدين ولا هو بالعار ، وقد كان حكام الجزائر الفرنسيون معارضين فى ذلك بحجة أن العرب ليسوا بأكفاء لهم ، فتزوجها رغم أنفهم على كتاب الله وسنة رسوله وعقد العقد مفتى الحنفية ـ وقد ذكر ذلك نفس الفرنسيين ـ وهذا الذى ذُكر فى التاريخ ، لا ما يزعم المبطلون ويزعم من يزعم أنها كانت تدير الزاوية ـ كذب وزور ـ وتقاليد العرب معروفة مشهورة ، وقد رحلت السيدة أوريلى عن الزاوية إلى الجزائر بعد وفاة سيدى البشير فلم تزر الزاوية إلا مرتين عند وفاة

سيدى علال وزواج سيدى ابن عمر ، وقد ماتت بعد أن أعلنت إسلامها رسمياً وطلبت أن تدفن فى مقابر المسلمين على أصول الشريعة الإسلامية ، ومعلوم أن الحكومة الفرنسية لا ترضى بأن يدفن مسيحى فى مقابر المسلمين ـ وقد افترى الأفاكون أن قبر السيدة أوريلى وُضع عليه صليب ، وهذا كذب واختلاق سيحاسب الله عز وجل من افتروه ، وقد أرسلت إلى دار الشيخ فأرسلوا إلى تكذيب ذلك ، وأمر شيخ الزاوية سيدى الطيب أن تؤخذ صورة القبر بالفوتوغرافيا وترسل إلينا .

أما الخطبة المزعومة المنسوبة لسيدى محمد الكبير والتى أسرف واضعها فى مديح فرنسا والافتراء على دار الشيخ ، وهى التى نشرتها جريدة الفتح تحت عنوان اعترافات خطيرة ، فقد نقلها رجل من بلاد الجزائر عن جريدة فرنسية استعمارية بعد أن حشاها بما أوحى إليه حقده مما لا يعقل أن يقره أحد من أهل طريقة تنسب إلى العمل بالكتاب والسنة ، وقد كتبت إلى سيدى محمد الكبير فى حينها فى ذلك فأرسل إلى قبيل وفاته يكذب أنه قال شيئاً من ذلك فلم يخطب تلك الخطبة ولا يقر شيئاً منها ولم يعلم بما نُسب إليه فيها إلا من رسالتى إليه ، وطلب إلى تكذيب نسبتها إليه ، وقد فعلت وأعلنت ذلك ، وبينا أن ما ذكر فى الخطبة معلومات غير صحيحة .

وهب أن أحد أذناب فرنسا المتملقين لهم ألقى تلك الخطبة بإيعاز من المستعمرين لينشروا بين من لا يعرف أساليبهم أن أهل الدين راضون عنهم ، وخصوصاً من هم مشهورون بعدائهم ، فأى ذنب للشيخ رحمه الله تعالى فى ذلك مادام لا يقره ؟ وقد ذكرت الجريدة الفرنسية أن الذى ألقاها رجل آخر غير سيدى محمد الكبير رحمه الله تعالى وكان يلقيها بالفرنسية وإن ادعت أنه كان يلقيها باسمه ، فقد تبرأ سيدى محمد الكبير من إقرار ذلك بنفسه وأنابنى فى إعلان ذلك ، وقد أعلناه بالفعل ، والاعتراض عليه بأنه لم يكتب للجريدة الفرنسية تكذيباً لها مردود بأنه لم يعرف شيئاً من ذلك إلا منا ، والمعروف عنه أنه لا يهتم بتلك الشؤون ولا يعنى بها ، وحال الشيوخ المتفرغين للعبادة والبعد عن هذه الأمور مشهور ، ولو سألنا أولئك القوم عن سندهم فى ذلك لكان الجريدة الفرنسية ، أفهذا سندهم الصحيح ؟

هذا والطريقة التجانية شئ آخر غير الأشخاص ، وقد أمر صاحبها سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه أصحابه بالعمل بالكتاب والسنة وتكذيب كل ما يخالف الشريعة مما ينسب إليه إن لم يكن من باب ما هو مؤول عند علماء الكتاب والسنة .

وكلامه هو حجة على من ينتسب إليه لا عمل من انتسب إلى طريقته ، فهب أن أى فرد من أهل طريقته خالفه فلا يضير طريقته رضى الله عنه شيئاً .

والحمد لله قد وضح للمنصفين براءة دار الشيخ رضى الله عنه مما نسبه إليهم خصومهم ، وكذلك أهل الحق تتحطم على أعتابهم أسلحة الخصومة الوضيعة ولا تضيرهم شيئاً ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والمؤمنين وسلم .